امرأة ولكن

مجموعة قصصية

تأليف

ياسمين مغيب

obeikandl.com

طبعة ٢٠١٧

مغيب، ياسمين

امرأة ولكن: مجموعة قصصية/ ياسمين مغيب،تصميم الغلاف ريم السخاوى –الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٦ .

١٧٦ ص ,٢٠ سم

تدمك: ٥ ٤٥١ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية القصيرة

أ - السخاوى،ريم (رسام) ب-العنوان

٨١٣,٠١

obeikandl.com

امرأة ولكن

مجموعة قصصية

تأليف

ياسمين مغيب

obeikandl.com

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المنتدب

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٦/١٦٣٥١

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٤٥١-٥

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٧

الكتاب : امرأة ولكن

المؤلف : ياسمين مغيب

الغلاف : ريم السخاوى

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

obeikandl.com

شكر وإهداء

أنثر باقات شكري وورود تقديري لكل من ساعدني في إصدار هذا الكتاب سواء بالتوجيه والإرشاد والنقد أو بالتشجيع ولو بكلمة واحدة... فلولا دعمكم لما استطعت أن أجتاز مرحلة التردد، إلى أن أينعت بتلات فكري على مسرح الحياة....

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

أهدي كتابي هذا لزوجي الغالي الذي كان له تأثير جليٌّ في كل زوايا نفسي، والذي كان يدعمني دومًا بدءًا من قراءته لنصوصي (كان مضطرًا فلا مفر من الإنصات للزوجة) ومرورًا بجولات الشد والجذب الفكري، التي كانت تفتق ذهني لإثارة قضايا جدلية بين الرجل والمرأة، وصولاً لمرحلة فكرة إصدار كتاب أدبي ومتطلباته من التدقيق اللغوي، والتقييم والطباعة، وفي كل الأوقات كان ملجأ روحي وملاذ فكري، ومستشار إحساسي، وأخيرًا لا أستطيع سوى أن أقول له: شكرًا لأنك في حياتي.....

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

هي امرأةٌ استثنائية، حبها سرمديّ، وفاؤها أبديّ، شخصية يشوبها الغموض، مُلبدة الفكر مليئة بالتناقضات، قوية حد القسوة، يحتلها الوهن حد البكاء، تُجابه الظروف تغلبها تارة وتخذلها تارة أخرى، قابلت الكثير في هاوية الحياة، فمنهم من أرهقها فكرًا، ومنهم من جعلها تقبّل وجنتيّ خُلقه، نالت من صفعات القدر ما يكفي لنضوج لُبّ إحساسها، وكشف مستور نوايا قربهم، تترنح على حافة الطموح ذهابًا وإيابًا، ولكنها أبت أن ترفع رايتها البيضاء، قررت أن تبوح بصمت خفقاتها خلف تلك الأسطر العالقة في بوتقة الزمن علّها تلامس شغاف أفئدة البعض، أو تشاركهم أحاسيس فكرهم،،،

وقد قمتُ بتقسيم الكتاب إلى ثلاثة أُقسام:

القسم الأول: يوميات قصيرة تدون فيها بعضًا من ترهات فكرها.

القسم الثاني: خواطر إحساسها.

والقسم الثالث: قصص قصيرة.

obeikandl.com

الجزء الأول
مقْتطفاتٌ مـنْ أيّـامِ امرأة

obeikandl.com

obeikandl.com

اليوم الأول: تمر السنون، تختفي غيوم المحبة من ربيع عمرنا، تغتال فرحتنا طلقات القدر، أفتقد طفولتي ببعدي عنكَ، أحتال على الشوق ببعض الصور تحتمي بغلاف زجاجي يحجب نداها، أسدل ستائر خوفي من الغد، ترتعد أشواقي على مفترق الحكايا، أنشد أبجديات اسمك، وأمد يدي لأضمها على لا شيء، فالفرحة أنتَ، وأنت لستَ معي، أشعر بالوحشة دونك يا أبي.

اليوم الثاني: يعاملوننا بجفاء ويتعجبون عندما تنخفض درجة حرارة حبنا لتصبح تحت الصفر..... فتتجمد مشاعرنا نحو حضورهم....

اليوم الثالث: هكذا هم يصلون دائمًا متأخرين.... بعد طول انتظار.... ليتهم كانوا يدركون أنني لو خطوت قدمًا للأمام يستحيل أن أعودها للخلف.....

اليوم الرابع: مدّتْ ذراعها في المدى لتحضنه... فجاء مهرولاً باتجاهها... لكنه احتضن غيرها..... وقتها تعلمت أن ليس كل من فتح ذراعيه كان ينوي احتواءها.... فلربما أشار للوداع وهي لم تعِ.....

obeikandl.com

اليوم الخامس: أخبرها يومًا أنه سيرحل، فأيقنت أن أجلها قد حان، والآن بعد رحيله اكتشفت أنها ولدت من جديد..... لأنها رأت الدنيا بعد إزالة غشاوة حبّ كانت تؤرق عينيها.....

اليوم السادس: قررت أن أتعامل معك بحماقة مطلقة، لأصدق كل خداعات حبك، حتى لا أصاب بخيبة عشق.... لكنني موقنة أنه سيأتي اليوم، وسأسحق كل تلك الحماقات بالجملة القاضية التي ستضعني على مفترق طرق البعاد.... وحينها سأعلق كل تفاصيلك على مشجب النسيان...

اليوم السابع: حين يكيل كل منا لكمات الغضب للطرف الآخر.... ويزن مقدار حبه، ويقيس طول أشواقه... ويحدد مدى اتساع رقعة غيابه... ويتجاهل سحابة عشقه الملبدة بالمشاعر.... ويعتقل عفويته على طاولة تحقيقاته... فيسرق كل محاولة لتذكر أي شيء جميل... حينها فقط سنصعد لهاوية المشاعر...

اليوم الثامن: أهوى مشاكسة قلبك وعقلك وأنفاس حضورك، واستفزاز شموخك، وكل جوارح عظمتك؛ لأنها تجعلني أصل إلى أعماق تلابيب فكرك... فأغترف منها ما أشاء... فأنتشي فرحًا في غيمة سمائك...

اليوم التاسع: أيها القوي الضعيف، القاسي الحنون، العنيف الرقيق، أعشق أناقة حرفك، وبراءة كذبك، وغضب حلمك، ومزاجيتك المتقلبة، وأجواءك المتناقضة، وهطولك الموسمي الذي يعبث بخارطة كل نساء الكون... ليتك تكتفي بروضة حضوري... لتستريح على أريكة أيامي حد النعاس...

اليوم العاشر: عذرًا سيدي أرفض أن أكون خيارًا ثانيًا، أعترف أن حبك أوصلني حد الارتباك... لكنني امرأة تأبى أن تتوارى خلف أسطر الانتظار، لقد أحببتك بطرق مختلفة، وبكل ما أوتيت من جنون، لكنك جعلتني أُرهق في محيطات حيرة لا تنتهي، أوصلتني حد إتقان لعبة الاختناق فتارة أعانق لهفتي... وتارة أحبس دمعاتي مع تنهيدة روحي الباكية.... فلماذا تلاحقني تفاصيلك لتقتحم نوافذ سكوني؟؟ ولماذا تصر على تمثيل مسرحية هزلية أنت بطلها؟؟.... وأنا خيار بديل؟؟

اليوم الحادي عشر: إهماله مؤلم، يقتل الرغبة فيها للسؤال عنه، حتى وإن كانت تعاني من هواجس حبه ليل نهار.

اليوم الثاني عشر: أشفق عليك مني، من جنون طموحات إحساسي، وصهوة أحرف كلماتي، وعناد خيالي المتمرد شوقًا، تربكك حيرة بين ثنايا قلبي المتوقد كبرياء.

اليوم الثالث عشر: وطني الحقيقي هو أنت، كم أشعر بغربتي حين تضطرني طموح خيالاتي لفراقك بالرغم عني، أظل في غربة قدري سجينة صمتي، حتى أتوسد ذراعي حضورك.

اليوم الرابع عشر: صمت رهيب يخيم على أجواء نفسي، علّه غياب روحه الذي تسبب في فوضى مشاعري، فأسدلت ستائر أشواقي على خفقان خاطري الذي يهمس متسائلاً متى يعرف كم أهواه؟

اليوم الخامس عشر: عندما تنتابنا بعض هواجس العلّة وقتها فقط نستشعر مدى الضعف الذي يقبع داخلنا، فنكتشف أن كلنا طفل يحتاج لأمه، نرتمي على أعتاب الدقائق بلا مأوى، نفقد الإحساس بكل شيء، نحتاج لمن يربت على أكتافنا بحنو وصدق، لا ترنو أعيينا لأبعد من خطوات تحت قدمينا، نرى الشيء الذي كان بالأمس يسيرًا شبه مستحيل، تتوارى علينا الأحداث والأشخاص، نستمر في الابتهال بالأدعية، وقتها فقط ندرك أن الدنيا لا تساوي جناح بعوضة، وأن الإنسان خُلق في كبد.

اليوم السادس عشر: حين أبدأ جولة في أنحاء ذاكرتي، أتصبب شجنًا، وألمًا، أحقًا لن نراهم ثانية؟؟ وهل من سبيل للعيش

دون استنشاق أنفاسهم التي تصرعنا بين الحين والآخر؟ وأي حياة دونك يا أبي ستكون؟

اليوم السابع عشر: أكثر ما يؤلم هو أن يتغير علينا إنسان كنا نعده عمودًا صلدًا في حياتنا لا يقبل الصدع.....

اليوم الثامن عشر: كم تتوق نفسي لترتمي على كتف إحساسك، ومهامسة شفافية مشاعرك، أشتاق إليك بحجم المسافة التي تسجن شعورنا.... وباتساع سماء جرحنا.... وبقوة جاذبية شوقنا.....

اليوم التاسع عشر: إذا أردتِ أن تحتفظي به للأبد... فاحرصي على وجود فاصل غموض يجذبه إليك... لأنه إذا أدرك تفاصيلك المخبأة خلف تلال غموضك... لبحث عن أخرى تثير فكره بتفاصيل غموض...

اليوم العشرون: يتوددون لنا، يريدون سحب اعتراف بحبنا لهم.... يعاملوننا بسذاجة كالأطفال.... ليتهم يدركون أننا كبرنا على قطع الحلوى، وأنها فقدت تأثيرها علينا... فلم تعد تثير جنون براءتنا... نعترف بفضلكم علينا..... فأنتم من علمنا كيف نتقن حرفة الكبرياء... لندير للعابثين ظهور قلوبنا....

اليوم الحادي والعشرون: إذا كان اعتيادي قد أصابك بالفتور.... فسأجعل غيابي يصيبك بالجنون...

اليوم الثاني والعشرون: أشعر بك كغيمة حبلى بالفرح، أمسكت بخيوط مستقبلي لتشاطرني في حياكة حياتي، أتشبث بكلتا يديك كي تعبر بي طريق الظنون؛ لأحتمي بك خلف تلال الحياة الصاخبة، متدثرة بثغر نسمات قلبك، وعبق رجولة قراراتك، فأغمض عيوني لأستلقي على شاطئ احتلالك لمملكة قلبي ...

اليوم الثالث والعشرون: كثيرًا ما وثقت بهم، ودائمًا ما كانت تُصاب ثقتها بخذلان... إلى أن تعلمت أنه لا ثقة إلا بالله....

اليوم الرابع والعشرون: لا حياة معك ولا حياة دونك، إذن كيف السبيل إلى الحياة!!!

اليوم الخامس والعشرون: حالة من اللامبالاة تعتريها تحتاج خياله ليشاطرها جنون التمرد يحرك سبات فكرها، يشعل وميض طموحها، يرافق شتات عنادها، يزلزل أعمدة الملل الخرسانية التي تطوق أركان حياتها، تحن لتلك البراءة التي كانت تعاقب عليها بالحرمان من عبث طفولتها....

اليوم السادس والعشرون: أسامح الكثير وربما أنسى، لكن شيئًا ما يتغير بداخلي، يرفض أن يعود كما كنت....

obeikandl.com

اليوم السابع والعشرون: لا تسكب حبر غطرستك على أوراق تمردي، فأنا شمس لن تكبلها سطوة عينيك..

اليوم الثامن والعشرون: شعور مستفز عندما تضطرك الظروف لفعل ما لم تتوقعه بالرغم عنك....

اليوم التاسع والعشرون: عندما أراه ينتابني شعور غريب، أتلعثم كالأطفال، تحاصرني الضحكات، أشعر أنني أصبت بحالة من الهذيان، لا أعي ما أقول.... فقط أريد أن أتحدث معه... بأي شيء... وفي كل شيء....

اليوم الثلاثون: أخشى على نفسي أن تصيبني حمى المراوغة مثلهم... أخاف أن أصاب بغموض المشاعر، وبقسوة التلاقي وجفاء النظرة، أخشى أن أتلذَّذ بآلام توسلهم ممن كانوا يدعون براءة قلوبهم، وفطرة حبهم، فأصبح مثلهم لا أبالي، ليتهم يدركون أنهم هم من علموني فن اللامبالاة....

اليوم الحادي والثلاثون: وماذا عساني أن أفعل حين يكبلني أرق الحنين، وأبحث عن عطر وجودك فلا أجد سوى بقايا ذكرى بين حنايا أضلعك، أحقًا تشتاق مشاغبة حضوري أم أنه مجرد إحساس مؤقت بغربة مشاعر؟

obeikandl.com

اليوم الثاني والثلاثون: البعض لا يدرك الاحترام، حتى يتجرع مرارة الإهانة، فاعتياده على أن الجميع يصمد بحضرته تجنبًا لغلظة شخصه، ومقت أحرفه، وخشونة ملامح كلماته، يجعله لا يعي أن بعض الأحرف قد تؤلم شخصًا عمرًا بأكمله، إلا بعد أن يتذوق شيئًا من اللااحترام.....

اليوم الثالث والثلاثون: دائمًا ما نسجن أحلام أمانينا، وجبال طموحنا خلف أسوار ردود أفعال الآخرين..

اليوم الرابع والثلاثون: أود أن أوقف تلك الثرثرة الفكرية التي تجتاحني حين أتذكر هؤلاء الذين لا طائل من ورائهم سوى استفزاز رقة هدوئي، حين يصيبهم الوهم أن عذوبة خلقي تحول بين إيقاف إعصار رأي استبدادهم، وإخماد نيران توغلهم داخل حدود كرامة إحساسي، فيراقبون حياة شعوري رغبة في الاستمتاع بإفسادها، تبت يدا أمثال هؤلاء من نواقص البشر، فلا مجال لفرض سيطرة حبهم بزيف تملقهم، ولا اقتيات رياء خبثهم سحرًا ينثر غشاوة براءتهم بين أرجائي، أخشى على نفسي أن يأتي يوم تصيبني فيه علل مزاجيتهم المتقلبة، فلا مفر من اعتقال تلك الشويخصات العشوائية التي تحيا عبثًا على جثث حماقات قلب طيبتي، فقد ضبطتُ نفسي متلبسة بالنضوج الكافي كي أسحق ذاكرة آلامهم في متاهات النسيان، وهذه البداية والبادي أظلم.....

اليوم الخامس والثلاثون: نبكيهم ثم نبكي على بكائهم، لا أدري أهذه قسوة مفرطة أم جنون حب؟

اليوم السادس والثلاثون: عندما تتزاحم الأفكار والأحلام تأبى العقول أن تنام، أشعر وكأن رأسي أصبح طريقًا مزدوجًا تمر فيه الأفكار يمينًا ويسارًا لتخالف كل إشارات الفطرة.....

اليوم السابع والثلاثون: بدلاً من أن تمسح دموعك امسح من حياتك من تعمد أن يبكيك... وما زال المسح مستمر ولكن إلى متى؟

اليوم الثامن والثلاثون: عذرًا شهريار لقد أدركت كل تفاصيلك، لا تحاول عبثًا أن تقترب من خيالات روحي، فلن أصدق معاناة أشواقك بعد اليوم..

اليوم التاسع والثلاثون: رواياتي... كتبي.... أحلامي.... حالات حب لن تهمس بأذنها الخيانة....

اليوم الأربعون: تطفلهم يطارد خيالاتي، يختلسون عذارى أفكاري، لا يدركون أني أجيد العزف على ترهات فضولهم...

اليوم الحادي والأربعون: قبور الاعتياد تغتال أجمل لحظات الحنين...

obeikandl.com

اليوم الثاني والأربعون: أنا معك دومًا، بين حنايا أضلعك، وتحت وسادة وجدانك، وخلف ستائر أشواقك، فلا ترتاب في غيابات حضوري، إن بعض الظن عشق....

اليوم الثالث والأربعون: الاعتياد عليك إدمان، يعكر صفو يومي، يا أنتَ، لا تنسَ أن تمنحني جرعة حبي، كي لا يستبيح الخوف إحساسي....

اليوم الرابع والأربعون: يحبونك بمعسول الكلمات، وعندما تتأمل مواقفهم تجاهك، تجد أنكَ أنتَ من تحبهم، فاحرص على الاحتفاظ بمن يحبك فعلاً لا قولاً، فقد سئمنا حب الكلمات.....

اليوم الخامس والأربعون: حنين بالأفق يلوح، يشدني بشوق لكِ يا أمي تأسرني رائحة الوطن، فألملم أشواق خافقي وأضعها في عجالة بحقيبة ألم تخفي ما يعتريني من اضطرابات، لأحلق بسماء غربة مشاعري نحو وطن يسكن كل خلايا شعوري.....

اليوم السادس والأربعون: الحياء أناقة ورقي، وشمس لاحت بالمغيب، ليته يزهر بين ثنايا المحبين، لنسمو بما تبقى من طهر العاطفة حتى لا يفقد الحب رونقه بتلك الثرثرة المفتعلة التي تجعله مفقودًا لفرط وجوده...

obeikandl.com

اليوم السابع والأربعون: وليس هناك أجمل من التنزه بين رقة قسوتك، وهدوء سطوتك، عندما تتصبب أنفاسك شوقًا، تتبارى كلماتك خجلاً، فيعتريك اضطراب يشق عباب خيالاتي، متسائلة أمثلك يمهلني عمرًا كي أسكن أعماقه؟

اليوم الثامن والأربعون: ولأننا صامتون يتوهمون أننا لا ندرك حقيقة مشاعرهم، فيتوغلون فينا عبثًا، ونمهلهم علّهم يرجعون، حتى يضع الفراق أوزاره....

اليوم التاسع والأربعون: نتوهم فيهم نضج العاطفة، ثم لا نلبث أن نصدم بصبيان أفعالهم التي توصمهم بالعار الفكري، حينها فقط سنثبت بالأدلة الكافية خطأ القاعدة التي تنص على أن العمر الزمني غالبًا ما يضاهي العمر العقلي....

اليوم الخمسون: ولي نفس لك طواقة، كلما همت بشد رحالها تجاه قبلة أشواقك، كلما نحرت خيالاتها بلا رحمة....

اليوم الحادي والخمسون: عبثًا اقترفت يداها إثم الاقتراب، وفجأة أرادت التراجع عندها انتابتها حالة اعتياد، ففوجئت باللارجوع قد سيطر عليها....

اليوم الثاني والخمسون: يبحث عنها، يستصرخ أنوثة رقتها أن تحتويه بعد أن خذل أشواق فطرتها، يتوهم أنه لازال يفرض

openkanal.com

سيطرته على محيط عمرها، يتأهب للقاء روحه، تخذل توقعات أشواقه، وتأبى أن تحاور أحاسيس مشاعره، يلملم ما تبقى من كبرياء كرامته ويرحل في صمت...

اليوم الثالث والخمسون: لا أدري كيف يرى البعض نفسه!! لكن النرجسية التي تقبع بأحداق فكره تنم عن شعور دفين بالنقص، فيحاول جاهدًا أن يثبت ويبرهن عكس ما هو عليه، دون أن يعي أنه كتاب مقروء من أول وهلة...

اليوم الرابع والخمسون: هل جفت ينابيع الوفاء؟ أم أثمرت خذلان؟ فتمخض القلب صمتًا، وأقسم العقل زهوًا أن يضع سياجًا واقيًا يحول دون اختراق مواطن الإحساس...

اليوم الخامس والخمسون: عندما نتحدث عن أطفال كل حلمهم سقف يأويهم، ولقمة خبز لم يمسها غبار الذل، وفراش زهيد يضمده الحنان، وأب لم تستبح كرامته مهانة الاحتياج، وأم سجينة الآلام لم تزرها الابتسامة منذ أن فارقتها ربوع الأمان، فأنت تتحدث عن أطفال فلسطين وسوريا والعراق ومصر وليبيا و.... نُحرت أحلام صغارنا على أعتاب مستقبل مجهول الخُطى..

اليوم السادس والخمسون: وأنت معي أحيا في عالم غير العالم وأرتحل إلى تلك الربوة البعيدة لأرتقي حكايا السعادة وأستلقي بين أزاهير الحب، أنا وأنت فقط، فمنذ أن فارقت جوار أحاسيسك لم أهنأ قط....

اليوم السابع والخمسون: يرهقني العمل فأروّح عن نفسي بسكب مشاعر إحساسي على بياض أوراقي، فيخذلني مداد فؤادي، فأعود لأدراج وحدتي أبحث عن سعادة مؤقتة، وما بين هذا وذاك يضيع العمر بلا رأفة..

اليوم الثامن والخمسون: رفاهية التحدث مع الآخرين تلاشت من حياتنا، فأصبح محور يومنا يدور في فلك ما علينا من واجبات، فخلدت المشاعر في سبات النسيان.....

التاسع والخمسون: نتوسم فيهم صدق الوصال، فيتبارون في إثبات أنهم رهن إشارة صمتنا، إلى أن نعتزم الاتكاء على أريكة ادعاءاتهم، لنجدهم يتخبطون قلقًا، ويتذرعون وهمًا، حتى يتلاشوا خلف قضبان الخذلان، فيرحل خبث ظلهم بلا أناقة...

اليوم الستون: لن تعرف قدرك عندهم إلا إذا التقيت بهم في زحام البشر، وقتها سيتجاهلون وجودك، وينكرون فضلك ويرفعون من لا يستحق....

اليوم الحادي والستون: يريدها أن تجمع كل مفاتن النساء من أناقة ولباقة وجمال، ولا يقبل التنازل عن خيالات فكره المستحيل، يا رجل يتسول الحب على حافة الأحرف، وبأرصفة الكلمات، لا تتذرع الأعذار، فلن تقنع حتى لو سُقيت الحب صباح مساء...

اليوم الثاني والستون: عندما يخونها النسيان، فيلح عليها بكل تفاصيل انتقاده لها، ومقارنتها بأخريات لا يملكن سوى أفئدة خاوية وعقول سطحية ومراوغة فكرية، وأجساد متهالكة، هي امرأة لا تشبه النساء يا من تنتظر أن تهبط عليك امرأة من السماء، انتهت المعجزات ورحل كل الأسوياء.....

اليوم الثالث والستون: ولازلت حين أهمس بأحرف اسمك تتراقص سكناتي، وتتوالد بسماتي، وتزقزق مشاعر أشواقي، وتتزين دواخلي بأبهى حكاياتي.....

اليوم الرابع والستون: قررت أن تتنحى عن بعض خيالات فكرها المرهق، لتعتنق عالمًا فكريًا جديدًا، فلن تعاتب الذي يؤلمها بأسهم كلماته، ولن تحاول إقناع الحمقى بغباوات أفعالهم، ولن تمنع المتطفلين من إشباع حثالة طمعهم، ولن تحطم آمال الفضوليين فيما يبذلون قصارى جهدهم للوصول إليه، ولن

تفشل خطط المتسولين لنجاحات تميزها، كما أنها قررت ألا تخذل جاهلاً كي يحيا بإنجازات وهمه، ولن تترقب غائبًا، ولن ترفع سقف توقعاتها مع المحيطين، لقد حاولت أن تتكيف مع الواقع، كي تعيش في سلام نفسي، وتتمتع بصحة جسدية، فلن تبالي بما يقولون ولا بما يفعلون، فقليل من البرود يعني مزيدًا من الراحة...

اليوم الخامس والستون: أحبته أكثر مما ينبغي وأحبها أقل مما تستحق، فما بين ما كان يجب، وما هو واقع، خذلها حد الوجع...

اليوم السادس والستون: أكثر ما يثير دهشتي رجل لا يمتلك الحد الأدنى من مواطن الرجولة، ويطمح في زوجة كاملة الأوصاف، أليس لديه مرآة صدق كي يرتدي رداء الحقيقة!!

اليوم السابع والستون: نعم قالها لي، قالها وزقزقتْ عصافيرُ قلبي، وتراقصتْ كرات الدم الحمراء بشرايين أشواقي، حوّمتُ بالمدى البعيد، طوّقتُ الدنيا براحتيّ جنوني، قالها ولم يصدق قلبي صدى كلماته التي دوّت بأركان روحي، شعرت بموسم حبّ يجتاح أسطورة عمري.

اليوم الثامن والستون: لقد رتبت أوراقي، ورقمت صفحات الزمن، جهزت نفسي لسفر طال انتظاره، حملت حقائب لهفتي، لملمت أشواق جمراتي، حبكت كل روايات أحلامي في عقد آمالي، تعريت من كل شكوكي، ارتديت ثوب الفرحة، وتعطرت بأمل اللقاء، استعددت للرحيل لعالم لا يشاطرني فيه أحد سواك....

اليوم التاسع والستون: عندما نحتاج لهم يديرون ظهر المجن لنا، وعندما يحتاجون لنا يتربصون بنا لفرض أنفسهم علينا، تبًا لهم، لا يقدسون سوى أنفسهم....

اليوم السبعون: عندما نعاني من فراغ مشاعر بُعْدهم، نعاود قراءة أفكار فكرهم، علها تواسي بعضًا من آلام صبر سئمنا تحمل غصته، فتراودنا أحلامنا ونبدأ بالعد التنازلي....

اليوم الحادي والسبعون: أزمة ثقة تعاني منها هذه الأيام، يتضح لها أن هناك تغييرات جذرية لابد أن تقوم بها، أو كما يقولون إعادة حسابات، فلربما قامت بإعادة سن قوانين جديدة لحياتها، تحيل البعض فيها إلى المعاش المبكر، وتمنح البعض الأخر مكافأة نهاية الخدمة، وتمنح البعض الثالث وسام الوفاء من الدرجة الأولى، لتحق الحق، وتبطل الباطل، وتحيا كما يروق لها....

openkanal.com

اليوم الثاني والسبعون: لماذا أبحث عنهم وأتكبد عناء الانتظار؟ فمن كان يريدني حقًا سيجتاز المستحيل لأجل الوصول إليّ، وما أراه بمستحيلٍ فما عليهم سوى الضغط على بضعة أزرار عقيمة توصل نبضات شوقهم عبر أثير المستحيل لتخترق كل المسافات....

اليوم الثالث والسبعون: دأبت في البحث عن شيء ما داخلي، لا أدري ما هو؟؟ تخيلت أن العثور عليه أمرًا هينًا، اكتشفت أن البحث عن المجهول يحتاج عمرًا فوق العمر، لكني لن أستسلم فأنا يروق لي دائمًا الأمر الذي يثير اهتمام فضولي، ويقوي عزم إرادتي، ويضج سهاد نفسي، حتى أتلذذ بحياة كما أريد أنا، لا كما تريد هي.....

اليوم الرابع والسبعون: إذا أردت أن تكشف قناع معسول كلامهم فلتختفِ قليلاً عن الأعين لتجدهم ينقسمون في حبك إلى أقسام شتى فمنهم: من لا يشعر بغيابك، ومنهم من يبحث عنك بجنون لهفة، ومنهم من لا يتذكر غيابك إلا حينما تعود، فلا تصدق كل ما يقال لك حتى يأتيك يقين حبهم ببرهان سؤالهم عنك الذي لا يتوقف، أو يخذلك بعضهم.

فتتجرع نفسك مرارة حسن الظن بمن كنت تتيقن أنك تعني لهم شيئًا لا يمكن الاستغناء عنه، حينها تجد صوت الشجن يتخبط في أرجاء نفسك هامسًا: عذرًا أيها الأصدقاء لن أقبل بحياة قلبي إلا من كنت له شمسًا تضيء أروقة روحه، ولن ينتاب خاطري فقدان الثقة بخياراتي لأنني بكل الحالات أنا الرابحة دون شك، ولن تتوقف نواصي قلمي بحثًا عن أوراق بيضاء تسكب عليها طهر روحي، وبوح صمتي، واندفاع مشاعر صدقي على طبيعة قلوب قاسية متقلبة الأجواء ما بين جفاف غيابي أو غيث حضوري.

اليوم الخامس والسبعون: يعتقد بعض الرجال أن الالتفات لامرأة أخرى غير زوجته هي فقط الخيانة، ولا يدركون أن التخاذل عن الاحتياج النفسي لحوار مشاعر رفقتها خيانة أخرى من منظور يصعب على الكثير فهمه....

اليوم السادس والسبعون: غريبة تلك الحياة نقابل أناس يلامسون شغاف قلوبنا، نتمسك بهم، نلازم صحبتهم، نتودد إليهم رغبة في الاستشعار بشوق اهتمامهم، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه، نشعر بوخزة ألم، نبدأ في خطوات الانسحاب واحدة تلو الأخرى نقرر الرحيل بلا عودة، وما إن رحلنا حتى

تشتغل نيران رسائلهم لتبثنا أرقًا ينتابهم، يصفون لنا كيف أضحى يومهم دون وجودنا، يعتصمون عند نوافذ ضعفنا؛ لأنهم لم يدركوا قيمة شخصنا إلا بالبعاد، تتصارع داخلنا قوى الشوق والرهبة من إعادة الاقتراب بعد أن التأمت جروح الوصال، واستأصلت كل نوبات قرب كانت تؤرقنا، نظل نتأرجح في وهن حنين، فجأأأأأأة ينطلق صوت نبض معترضًا: عُذرًا لقد سئمتُ تلك المراوغات اللاحانية فمن لم يجدِ معه وجودي، لن تسعدني توسلاته حين غيابي....

اليوم السابع والسبعون: أي جنون هذا الذي يعتريني حين أبحث عنك لألتقيك برغم كل مسافات القدر التي تشرد طوق شوقنا... أي جنون هذا الذي يصيبني حتى أتأمل أحرف اسمي تسبح في لهفة لقاء بين شفتيك؟! أي ابتسامة تلك التي تطوقني حين ترتسم ملامح براءتك أمام أنوثة قلبي؟! أي حب هذا الذي يجعلني أختزل كل الرجال فيك؛ لأحيا ببقايا مخزون حبك أقتات عليه في موسم تشقق المشاعر وندرة العاطفة، وجفاف الأحاسيس، فأنتظر مطر حبك الاستوائي الذي لا تسكن غيومه سوى سماء قلب يهواك حد الجنون.....

اليوم الثامن والسبعون: سئمتُ تلك المسرحية الهزلية التي تسمى سياسة، نشاهدها دون إرادتنا ونصفق للممثلين البارعين الذين يقنعوننا بأننا الأبطال، فنحارب لأجلهم مسلوبي الإرادة، فيخدعوننا ونكتشف أننا كنا نضحك على أنفسنا، وما نحن سوى كومبارس يحركنا الأبطال الحقيقيون تجاه الأهداف التي تحقق مصالحهم الشخصية.

اليوم التاسع والسبعون: درسنا منذ صغرنا أن للتحضر علامات منها: احترام القانون، والاستماع للرأي الآخر، وعدم الجدال إلا بالتي هي أحسن والصوت المرتفع دليل على ضعف الموقف، والآن بعد أن كبرنا حاولت أن أطبق ما درسناه فاكتشفت أننا لسنا من هؤلاء المتحضرين كي نتسم بصفات التحضر، فإذا اختلف أحدنا في الرأي مع أعز أصدقائه يخسره، وإذا اختلف مع والده يعقه، أما لو اختلف مع مسلم لا يعرفه فحتمًا سيقلته، وقتها فقط أدركت أننا مسلمون بلا إسلام.

اليوم الثمانون: لست مضطرة مجددًا لأسترسل في غياهب عتاب، فمن لم يستوعب أنوثة براءتي، لن تجدي معه براهين إحساسي، حتى وإن انتزعت بتلات عمري ووضعتها بين يدي كبرياء فكره..

اليوم الحادي والثمانون: يختبئون في ثياب غير ثيابهم، يريدون أن يقتحموا حياتنا بعد أن أوصدنا كل الأبواب بوجههم، يظنون أنهم سيخدعوننا بما ارتدوا من ماسكات خشبية تخفي قبح وجوههم، ليتهم يدركون أن للقلوب النتنة رائحة تسبق الجسد، حقًا لقد ختم الله على سمعهم وأبصارهم، أعمى عيونهم بغشاوة حماقة لا تفارقهم، أيها الغافلون اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله...

اليوم الثاني والثمانون: عندما تتسع الخطى بيننا، ونفتقد شيئًا ما كان يجمعنا، تنتحر الكلمات على شفاهنا، تصبح أحاديثنا دربًا من التكرار، نفتقد عفوية الحوار، وتدوي قنابل الرتابة في جنبات أوردتنا، يتربص كل منا لهفوات قدرنا، اعلم أنه دق ناقوس الوداع..

اليوم الثالث والثمانون: تصيبني حيرة ذلك الغموض الذي يعتريك بين الحين والآخر أيها الرجل المبهم، كلما خُيل لي أنني أدركت مفاتيح خزائن فكرك، أجد صوت الغموض يعلو مرة أخرى في نبرة رقتك، حتى أيقنت أنك أسير جدران نفس لم تدرك معنى كنهها، يا رجل يحكمه قانون الذاتية، أنا امرأة ترفض كل قوانين الكرة الأرضية، لن تعبر دنياي بصهيل

قصيدة شرقية، لملم حروفك حرفًا حرفًا وارحل، فما أنتَ إلا قصاصات مطوية، لا تظهر بسمائي كغيمة ممطرة فيجف ماؤها قبل هطوله على أزاهير شوقي، فلن أقبل غيابات هجر مزاجية، لا تعبث بأقدار امرأة إعصار حبها أسطورة أبدية عفوية، لن تقوى على روايتها لأنك ببساطة تهوى متاهات التناقضات وعشقك سمته الآنية، وجواز سفرك للعالم طقوس شفاه خرساء يقتلها النطق بحرية.... فرحيق لقائك لن يثمر، وألم بعادك لن يشقق مشاعر روحي الأبية، أعلنت العصيان على كل تفاصيل تلك الصدفة المنسية.....

اليوم الرابع والثمانون: أحيانًا تتمرد على نفسها، تريد أن تفعل ما يسمونه باللاشيء.... لا لشيء سوى أنها ملّت كل شيء.....

اليوم الخامس والثمانون: لا تُبجل سوى ذلك النوع من الرجال الذي لا يحرك ذوقه كل أنثى....

اليوم السادس والثمانون: عندما تعتريني ملامح هيبتك ما بين النوم واليقظة لا أدري أأنت جئت كي تشاطرني أحلام خيالي أم أنها روحي التي استباحت نعاس فكري وأخذت تفتش عنك بين ثنايا ذاكرة الحنين؟؟

obeikandl.com

اليوم السابع والثمانون: كل يوم يرحلون دون وداع.... رفقًا بقلبٍ تصخر غربة وشقاء.... لم يعد يحتمل علقم الفراق... تنتابه بسمة شوق تفتت جسد الأمل.... داخلنا وطن يسكننا نهواه ونعشق سكناه... وقميص عروبتنا ممزق يهتف وامعتصماه.... حلم يقبع دفين اليأس يتساءل في صمت مضنٍ أيهما أشقى حياة الموت أم موت على قيد حياة؟؟؟.....

اليوم الثامن والثمانون: أنفاسك تشبهني، أتدري أنها تماثلني حد التطابق؟ تحاول جاهدة أن تهرب منك، فتسرع دون إرادة بالعودة إليك تصارعك فتصرعها، تارة تعلو ضفتي غرورك، وأخرى تغوص في أعماق نبضات شرايينك، أنا وهي نحيا لأجلك أنت، نرافقك بصحوك ومنامك، نتبارى لملازمة أدق تفاصيلك، نتمرد أحيانًا، نود الإفلات من سطوة مدارات فكرك على المدى البعيد، هي تتجرأ وتحاول وتحاول لكن لا مفر فتوقفها عنك يعني الموت لك ولي ولها.....

اليوم التاسع والثمانون: لدينا كثير من الأحبة رحلنا عنهم لكنهم لم يرحلوا عنا، هجرناهم لكن حضورهم لازال يقتحم خلوتنا، اختلفنا معهم، لكن كل ما بنا اتفق معهم علينا....

اليوم التسعون: عندما تتلاشى أحرف الوفاء في حضرة بعض البشر، لا نملك سوى إعادة ترتيب أبجديات صداقتنا، ليصبح بعضهم ذكرى بعد أن كانوا كل ما نملك في الحياة....

اليوم الحادى والتسعون: أنا امرأة لا تقبل التبعية الفكرية فلا تحاول أن تساومني على شخصية أنوثتي، حتى لا تخسر كبرياء رجولتك....

اليوم الثاني والتسعون: نخشى على أنفسنا من كثرة طموحاتنا أن تسقط إحداها سهوًا، فنفتقدها لنعاود البحث عنها تحت أنقاض المستحيل...

اليوم الثالث والتسعون: على مائدتي كثير من الأطباق الشهية منها: حبك لي، واشتياقك، خوفك عليَّ، وغيرة رجولتك، والأشهى هو حضورك.....

اليوم الرابع والتسعون: سألها: لِمَ تعاتبيني على ما اقترفته من آثام حب؟ فأجابت: أنا لا أحاسب.. ولا أعاتب إلا من «ي همني» أمره فقط، فإن انقطع عتابي لـك فـ اعلم أني لم أعد أكترث لما تقوم به،،!!

obeikandl.com

اليوم الخامس والتسعون: سألها بهدوء: ماذا أعني لكِ؟ فأجابته: كنت ومازلت وستبقى أروع حلم حققه لي ربي..

اليوم السادس والتسعون دائمًا ما يسألونها: ما بكِ؟ فتجيب لا شيء، وربما كان بداخلها كل شيء.... ليتهم يدركون أنهم لو شعروا بها لما احتاجوا للسؤال ....

اليوم السابع والتسعون: إن كان لابد من الأحلام فلتكن أنت حلمي....

اليوم الثامن والتسعون: الحب ليس إلا أحرف هوجاء تخرج من شفتي إحساس مندفع... الزمن وحده كفيل أن يثبت مدى صدق مشاعر قائلها..

اليوم التاسع والتسعون: أحيانًا نحتاج لخفض سقف توقعاتنا لحيز تواجدنا في قلوب الآخرين حتى لا نصاب بخيبة ثقة....

اليوم المائة: عندما أتذكر هؤلاء الذين كنت أوهم نفسي أني لا أقوى على الحياة دونهم، تنتابني حالة من الفخر بالذات ممزوجة بالضحك، وها أنا اليوم أحيا دونكم!!

obeikandl.com

اليوم الأول بعد المائة: تمر السنون سريعًا تسرق بسمتنا، تحملنا ما لا نطيق، تزداد مسئولياتنا يومًا بعد يوم، نسابق أحلامنا فيصرعنا القدر أحيانًا وتتواطأ معه أشخاص يصيبونا بخيبة ثقة، لكننا نصر على غرس بذور الأمل في خلجات حياتنا، نودع عامًا رحل ومعه بعض من الأشخاص كانوا ولازالوا يسيطرون على مشاعر خلوتنا، تركوا بصمة في زوايا أنفسنا، يلقننا الزمان درسًا لن ننساه، فكلهم راحلون سواء بقصد أو بدون، نجد أنفسنا نغير نهج حياتنا، فنجعل كل علاقتنا بهم على هامش الفكر، فلا نقترب كثيرًا من هاوية الاعتياد، التي حتمًا ستصيبنا بحمى الإدمان للأشياء والأشخاص، فتركنا الخلق وتعلق قلبنا بالخالق.

اليوم الثاني بعد المائة: اعتادت ألا تقبل بأنصاف الحلول، فإما غياب تام أو حضور جليّ....

اليوم الثالث بعد المائة: أكثر ما يثير دهشتي رجل لا يمتلك الحد الأدنى من مواطن الرجولة، ويطمح في زوجة كاملة الأوصاف، أليس لديه مرآة صدق كي يرتدي رداء الحقيقة!!.....

اليوم الرابع بعد المائة: نتوسم فيهم صدق الوصال، فيتبارون في إثبات أنهم رهن إشارة صمتنا، إلى أن تعتزم الاتكاء على أريكة

ادعاءاتهم، لنجدهم يتخبطون قلقًا، ويتذرعون وهمًا، حتى يتلاشوا خلف قضبان الخذلان، فيرحل خبث ظلهم بلا أناقة...

اليوم الخامس بعد المائة: لا تهدوني باقة من الحب، ولكن اهدوني وردة من الاحترام، فبدون حبكم سأحيا، ولكني بدون الاحترام سأفقد حياة روحي.....

اليوم السادس بعد المائة: نصمت عندما يكون الألم أكبر من كل الكلمات....

اليوم السابع بعد المائة: كل حبهم مفتعل مزاجي موسمي إلا حب أمي، فإنه صامد ثابت، لا تذروه رياح العناد.....

اليوم الثامن بعد المائة: السؤال الذي يرهقها فكرًا: هل حالتنا النفسية تجعل العلل تسكن أجسادنا، أم أن وهن أجسادنا يصيب أنفسنا بمزاج يائس؟؟

اليوم التاسع بعد المائة: مازال يواري سوأة حبه خلف جبروت رجولته، تغيب عنه يستوطنه الحنين، يصب عليها وابل أشواقه، تصدمها قسوة لقياه، وحدة ملامح حرفه، يعانق لهفتها بغضب، مُهَمْهِمًا أكره نفسي حين ترحلين بالرغم عني.....

obeikandl.com

اليوم العاشر بعد المائة: لا تثق بفكر إنسان، قد تخونه ترتيبات القدر، فيخذل توقعات رؤيتك، وثق برب البشر الذي تسير كل الأقدار وفق تدابيره، فإن قال كن.... حتمًا كل الأمور ستكون...

وتتوالى الأيام، إلى لقاء مع أيام جديدة....

obeikandl.com

الجزء الثاني
خواطر

obeikandl.com

obeikandl.com

عبثُ الْهجاءِ ٧ ديسمبر ٢٠١٢:

في غيابك تنهال عليَّ آلاف الأسئلة الحيرى، التي تتخبط بين وجدان فكري أحاول أن أروضها فتعصاني، وبحضرتك تضيع مني كل الأبجديات، أتحدث كطفل لم يدرك من لغته سوى بضع كلمات، أهذي بتمتات، أحاول عبثًا أن أحصي تلك الأسئلة التي كانت تؤرق خلوتي لأنهال عليك بها كي تريح ظنون شتاتي، لكن لا فائدة من محاولات عبث الهجاء، فبوجودك تخلد نفسي لخجل الصمت الذي يرغمني عليه طغيان حضورك، فأفقد هُويّة قلبي على أعتاب رجل يعجز عن وصفه قلمي بكل الكلمات.

اندفاع ٩ يونيو ٢٠١٦:

أحيانًا نقابل أحدهم يعاني من إسهاب عاطفي، فما إن تبدأ تتحدث معه بشكل جدي حتى يغمرك بنزيف من الكلمات الرقراقة التي لا محل لها من المنطق، فتدخل في دوامة من التفكير، متسائلاً: هل حقًا يعني ما يقول؟ أم أنه مجرد اعتياد على بذخ الأحرف التي يقولها في غير محلها، وقد تكون لمن لا يستحق، وهل هذه رومانسية مفرطة أم أن لسانه يهذي بكلمات لا يعي فؤاده أثر إطلاقها في نفوس الآخرين!!! لا تدري هل هو ظالم يريد أن يسلب إرادة بعضهم بزيف إحساس تملق؟ أم أنه مظلوم لم تدرك مشاعر إحساسه أنه يستنزفها مع أناس لا تربطه بهم أية صلة شعورية، تجد نفسك تتجنب لقاء

obeikandl.com

روحه دون أن تدرك أهو استياء من تدافع مشاعره التي تتلبس كل من تقابله بلا تفريق بين الجيد والرديء؟ أم أنه خوف من أن يرهقك فكرًا في البحث عن أسباب الترف اللفظي الذي تعاني نفسه منه؟

حالة حبّ متعسرة ٣٠ أغسطس ٢٠١٢:

عندما ترتعش أطراف مشاعرك، وتحمر وجنتا إحساسك، ويتلعثم لسان شوقك، ولا تطيق حديث قلوبهم، ولا ترى من وجوههم إلا وجهًا واحدًا، ولا تسمع من لغط غزلهم إلا لحنًا واحدًا، ويهجر عينيك النعاس، ويراودك ظله حتى فراش تمردك، فتخاطب خيال كبريائه، وتغفر سطوة غطرسته، وترسم صورته على وسادتك، لتحتضن غروره بعمق، وتحادث خطوات أنفاسه لتأخذ منها أكسجين حياتك تتنفسه شهيقًا وزفيرًا، تحتبس نبضات قلبك خلف مساحات الشك واليقين، اعلم أنه قد أصابتك حمى العشق السرمدي.

الحُبّ الحَقيقي ١٥ سبتمبر ٢٠١٠:

احتضنني وأنا غارقة بأحلامي، وأخذت يده تعبث بكل جوارحي، أفاقني من سُبات عميق حبه العارم، لفّ كلا ذراعيه حول خاصرتي، غمرني شعور لا يوصف من الحب والشوق لقبلاته التي طُبعت على كل أنحاء جسدي، أغمض عينه وجعل صدري وسادة، أصرّ على إيقاظي من نومي، بأنانية مطلقة، بلهفة لا مثيل لها، أخذ يحدثني ويحدثني، وأنا لا أدرك من حديثه سوى الحب الذي طفق يسري بكل خلايا

جسدي، أخيرًا استوعبت ما كان يقول عندما جذبني من ذراعي، وأجبرني على اتباع خطواته لأجد نفسي أمام الثلاجة فأفتحها له ليخرج قطعة من الشوكولاته التي يحبها، ويقول لي بصوته الرقيق، ويده الغضّة تتشبث بثيابي: أُحِبكُ يا أمي.

صِراعُ القَلبِ والعَقلِ ١٥ سبتمبر ٢٠١٠:

يُخبرك قلبك أنه لا غنى عنه، وأن فراقه موت مؤكد، لكن عقلك لا يثق به، يشير عليك أن تهجر ذلك الحب الذي لا طائل من ورائه سوى الألم، يحدث صراع داخلي بين القلب والعقل، كلٌ يحاول أن يحصد قصب السبق، وأنت في حيرة من أمرك، تقف بلا حراك لترى تصاريف القدر، يأتي من تحب ليضع حدًا لهذا الصراع، بقوله: أنك كنت مرحلة انتقالية بحياته، وأنه بدأ حبًا جديدًا، حينها يزهو عقلك ويفتخر بقدراته الخارقة، بفراسته ورجاحته، أما قلبك فيقرر الانتحار لأنه خسر الجولة وخرج من حلبة المصارعة منكسرًا ذليلاً، وحينها يهرول عقلك مسرعًا يحاول مواساته، ويخبره أن انتحاره موت للجسد كله، وأن عليه ألا يبكي على اللبن المسكوب؛ لأن ذلك حماقة وضعف، وهنا يقرر القلب أن يتصالح مع العقل، ويقسم ألا يشد رحاله إلى أي منطقة محظورة دون اللجوء إليه، حينها فقط يغلق كل صفحات الألم والحزن، ويحيا بلا نفسه.

عفويةُ التجاهل ٢٩ أغسطس ٢٠١٣:

أصبحت أمارس لعبة التجاهل بعفوية لا أصدقها، فأصبح يستوطنني اللااهتمام، أصرح بلا خجل أنني أكثر سعادة في ظل غفوة التجاهل، فكلما تجاهلت من أحب اقترب مني أكثر وأكثر، مع زيادة إصراره على تواجدي في نطاق دقات قلبه، فاسترحت من شكوى اللامبالاة التي تصيبني بقلق التوتر، فمن يتذكرني يرغمني على ترك مساحة له في زحام يومي، ومن لا أمثل له سوى أحرف صماء في قائمة هاتفه، يقتحم خلوة حياتي برسالة ترسلها لي آلة خرساء دون أن يعي لمن أرسلت يذهب بلا عودة، لا تتعجبوا فقد علمتني تجربتي في الاهتمام بمن لا يستحق أن أبتعد عن كل ما يؤرق نعاس فكري، أو يقض مضجع إحساسي، فلا مجال لانتظار ما يكدر صفو حياتي، فقط تعلمت الآن كيف السبيل إلى الحياة.

خُضوعُ المرأةِ وفرارُ الرجلِ ١٥ سبتمبر ٢٠١٠:

تخطئ المرأة كثيرًا عندما تقابل رجلاً لا تدري عنه شيئًا، لكنها تفاجئ أنه سلبها إرادتها فلا تملك أمامه إلا أن تستسلم معلنة له عن حبها الذي يزيده غرورًا وكبرًا.

لا تعرف كيف رفعت رايتها البيضاء، وكيف سلمت لريح حبه نفسها؟؟ بل وأنها أيضًا تكون سعيدة بهذا الخضوع وكأنما القدر

obeikandl.com

ساقه لها كي تستمتع بالانكسار؛ لأنها طالما عاشت حياة التمرد فلم تكن مجدية معها ولم تشعرها بلذة الحب؛ لذا قررت أن تكون سكنًا لمن حرك مشاعرها وزاد نبضات قلبها.

لكنها لا تلبث أن تستمتع بجو الخضوع حتى تجد من أجبرها حبه على الاستسلام قد فارق سماءها وبحث عن قلب امرأة أخرى لا يعرف الاستسلام.

غريبٌ حال هؤلاء الرجال!! يبحثون دائمًا عن القلب القوي الصلد، وما إن تأكدوا أنه استسلم أمام رياح حبهم العاتية حتى يشعروا بالغطرسة، فيبدأون في الهروب منه ليبحثوا عن آخر يشبع رغبتهم بالانتصار، وشعورهم بالرجولة الزائفة التي يتوسمونها في أنفسهم، وتبقى الدائرة مغلقة، حب فاستسلام فهروب فجرح وألم ورجاء ....

ذكاءُ السّلحفاةِ وغَباءُ المرْأةِ ١٥ سبتمبر ٢٠١٠:

كانت تراقبها خلسة وهو يطعمها ويداعبها، كانت تحسدها على كل ما هي فيه من رغد العيش، وفيض الحب، فياله من شاب وسيم يحملها بين يديه ويضعها بسريرها!! ظلت تستمتع بالنظر إليها يوميًا إلى أن جاء اليوم وتقدم إليها الشاب الوسيم ليخطبها ويتزوجها بسرعة البرق، يسجنها بعش الزوجية ويغلق عليها بمفاتيح غلاظ، ظلت تراقب السلحفاة، وهو يضع لها طعامها، ولكن في هذه المرة لم

تحسدها ولم تتمنَ أن تكون مكانها؛ لأنها ملت السجن حتى وإن كان بقصره، ضاقت بها الدنيا لكن ماذا تفعل؟؟

وأخيرًا وجدتها تحاول الهروب من الصندوق الذهبي الذي كان يأسرها فيه، لكنها فشلت. مرة تلو الأخرى وهي تحاول محاولات مستميتة من أجل الخروج، إلى أن جاء اليوم الموعود ونجحت في الهروب، وجاء الشاب مذعورًا يصرخ ويقول أين ذهبت السلحفاة؟؟ وكيف استطاعت الخروج من الأسر؟؟ وهل لها شخص آخر يدللها مثلي ويعطيها ما أعطيته لها من الرفاهية، حمقاء تلك السلحفاة!!!

ظلت وحيدة في البيت بعد أن نجحت السلحفاة بالفرار منه، أخذت تتهم السلحفاة بالغباء، لأنها تركت ولي نعمتها، فلربما لن تجد مثله برغم سجنه لها.

جاء اليوم الذي دخل عليها زوجها الوسيم وكان برفقته امرأة أخرى جاء بها لتشاركها فيه، ظلت تفكر وتفكر، حزنت على نفسها لأنها لم تدرك ما أدركته السلحفاة إلا بعد فوات الأوان، قررت أن تتبع خطى السلحفاة بدقة، حاولت أن تستولى على نسخة من مفاتيح السجن إلا أن السّجان قد أمسك بها، وكانت النتيجة أنه قد زاد الأقفال قفلاً أشد غلظة، وأكثر إحكامًا، وهنا صرخت الزوجة قائلة: يا ويلي أعجزت أن أكون مثل السلحفاة؟؟؟ التي عرف عنها الكسل والبطء والثقل، حاولت وحاولت وحاولت إلى أن حققت ما تريد

واستطاعت النجاة بنفسها من بين براثنه القاتلة، ومن حب تملك النساء الذي كان يعشقه مستغلاً شرع اللّٰه.

عن أي شيء تبحثين؟ ١٤ سبتمبر ٢٠١٢:

لِمَ انتظاري؟؟ وقد أعيى المسير قلبي، لِمَ أسير بلا جدوى على كتف الطريق؟؟ ولا أدري ما المصير، ولا أين المنتهى؟؟ ولا كيف السبيل؟

لم يبق شيء فالطريق مغيمة، وعقارب الساعات تتثاقل في الخطى، تختال في زهو على جسدي الأصم، هل أنا صنم لا يعي.... لا يشعر.... لا ييأس.... لا يملّ؟؟ يا حياة الضعف ثوري، يا دماء الحب فوري مزقي كل شعور، قد مللت الانتظار، عصف ريح من جروحي، ونسيم من آلامي، نهر دمع طاف روحي، حُطمت مرآة ذاتي، لملمي أشلاء نفسك وارحلي، لم يبق في محبرة العشق شيءٌ، فبأي حبر تخطين أحرف أغنياتك!!

أمطري حبكِ عنكِ أمطريه، حطمي كل رفاتكِ، دمري كل السبل لا تعودي مطلقًا إلى سابق حياتك، أي حبّ تنشدين؟ أي شوق تقصدين؟ ارحلي قد ضاع عمرك وانقضى وقت الحنين، لا تبحثي عن شتاتك خلف حطام عقيم، احفري بئرًا لنفسك وارمِ كل ذكرياتك، تحت أنقاض السنين.

خَارِطةُ الْحُبّ ١٢ سبتمبر ٢٠١٢:

أشتاق لك بحجم يومي المليء بالمفارقات، فكلما ابتعدت عني أكثر، أحببتك أكثر وأكثر، واقتربت منك أكثر، فالحبيب الأكثر ابتعادًا هو الذي ينثرني شوقًا، فأستحضرك بطريقتي؛ لأمارس طقوس غروري ببراءة طفولتي المعهودة، فكم يستفزني كبرياء نظراتك لتتحدى عناد رقتي، فتتوسل رجولتك، ويتسلل تطرفك السرمديّ الذي يزلزل هدوء كياني.

لكن أنوثة كبريائي تقتحم حضارة صمتك، وتظفر بما بقي لديك من جنود غرورك، فترديك قتيلاً، وترتجف كلماتك خلف جليد المسافات، لتحل ضيفًا بأروقة قلبي، بعد أن طالت جولاتك معي، لا تحاول مباغتتي مرة أخرى، فأنا أنثى تتقن فن قراءتك، فلا تختبئ مني بين الأسطر، فلن أتركك حتى أسْدل الستار؛ لتتعرى أمامي من كل غطرستك، وحينها سأمتلئ غرورًا، عندما تعترف أمامي باحتضار إعصار تكبرك، حينها فقط سنلتقي معًا لننحت تضاريسنا في خارطة الحب.

تريده رجلاً كي تكون له أنثى ٨ سبتمبر ٢٠١٢:

سقطت من ذاكرتها معالم الأنوثة، تبحث عنه لتعود لسابق عهدها بعالم النساء. تواري سوأة جراحها خلف نقاء فطرته، تبثه أشجان قدرها الذي جعلها تختبئ خلف ظلها؛ ليفك لغز غموض حيرتها، ويوقف هدير آلاف الأسئلة الحائرة التي تمتطي ظهر عمرها،

ليُبرئ كل ما بها من ظنون، ويخرجها من قوقعة صمتها، تريده نزاري الإحساس، طائي المشاعر، قيسي العشق، ناصري القرار، تود أن يعلمها كيف تستعيد قدرتها على تذوق حلاوة الكلمات حين تنساب من بين شفتي رقته، تتوق لمجالسة نبض حضوره، وتهوى نفسها أن ترتمي على كتف إحساسه وتلامس عبق شخصيته، وتهامس شفافية مشاعره، لتحتل صورته غلاف جريدتها اليومية، وتحاوره مع كل رشفة من فنجان قهوتها.

تنساب موسيقى صوته فتراقص جوارح كبريائها على إيقاعه، يستفز استرخاء أنوثتها بجموح رجولته، لتنتهج نهجًا جديدًا في وشاح الحبّ، لرجل يروض شرود أنوثتها، ويجتاح فيضان مشاعرها، ويغزو عقلها، ويعتقل تلابيب قلبها؛ ليفرض سيطرته على مسام أنفاسها، فلا تتنفس غيره أكسجينًا، يستبيح عذرية أحلامها، ويسكن خلاياها المتناقضة، يجعلها مدًا وجزرًا في آن واحد، علّه يقضي على حالات التصحر التي جففت أنوثة مشاعرها؛ ليفترشا معًا رمال الدنيا، ويواجها طوفان الحياة العاتي؛ ليوجه غيمتها الشاردة لترتمي قطراتها على أرض حنينه، ويضرب موج تمردها على صخر رقته حد الكسر؛ ليختال على صفحة عمرها بكل خيلاء، تستحلفه بكل ما أوتيت من رقة من أن يكون لها كامل رجلٍ كي تكون له أنثى بكل النساء.

اكْتِفـــاء ٢٠ أغسطس ٢٠١٢:

عندما تُصاب بتبلد المشاعر، فتتساوى عندك كل الأحاسيس، فلا تهتم بحبهم أو بغضهم، بقربهم أو بعدهم، حتمًا قد أصابتك حمى البرود من جراء تعاملك معهم، عندما تصاب بهيستيريا الضحك حين يُعلن أحدهم بعده عنك، تقف مع نفسك وقفة وتتساءل هل حقًا أضحيت مثلهم، لا أبالي بتصرفات من حولي؟؟

بعد أن اعتادت دموعي أن تحل ضيفًا ببيت عيوني من أمطار عتابهم التي لا تنضب، وسهول خصبة من جراحهم، ما إن ذبلت حتى عادت أشد خصوبة، تشرق أوجاعي لتنشرها مواويل القوافي، تتدرب الآلام فيّ فتلامس نوافذ حبي لتحيلها إلى اعتكاف.

أشعر بأن شيئًا ما قد تأهب ليرسل توق النفس إلى سراديب بكاء، وتتساقط الكليمات كالجمر تهذي روحي بهمهمات، تنتحر على شفتيّ أحرف عتاب؛ لتنتهي كل حكاياتيّ، تهجرني لغة البوح بحبهم، فها أنا غارقة في أبجديات سكوتي، وجنازات حروفي تتدلى بلساني، خيّالة جراحهم تقتلني، يتهاوى شعوري خلف قضبان من اللامبالاة، تائهة لأعاود البحث عن وجوه غير الوجوه، بعد أن تناثرت أوهام حبهم كسراب يحسبه الظمآن ماء، فيرفع قلبي راية الاكتفاء، نعم لا جراح بعد اليوم، فقد ابتلعت النفس مِرارها، وأقلعتْ سماء حبهم، وقُضي أمرهم، وقيل بُعدًا للقوم الجارحين.

قرارٌ أخير ٢٣ نوفمبر ٢٠١٢:

ينتابني شعور مُدْمٍ عندما أجد الجميع يلتفون حول قِبلة روحك، يدركون تفاصيل يومك ويشعرون بنبضات فكرك ويستمعون لأحاسيس عشقك أما أنا فقد حظرتني من «بروفايل» عمرك.

وكل ما اقترفته من ذنب هو أنني اقتربت منك حد الجنون، ليتني كنت مثلهم على حافة البعاد حتى لا يلقيني مدك عن شاطئ كنت أظن أنه أصبح ملكًا لمستقبل خيالاتي، طالت غيبتك وعبثت بأشواق رجائي مقادير المجهول أن أحاول التنقيب عنك خلف جدار اغتراب أنت من تعمد إرهاقي به، هنيئًا لك بحياتك دوني وهنيئًا لهم بك لأنهم أدركوا كيف يدثرونك بحجاب الوهم، وتبًا لحماقة فكري حين خطا خطوات في ردهات الأمل، فأضحى على أريكة المحطة الأخيرة لرحلات الأوجاع، فهو لن يلبث طويلاً بعد أن أصابته رجفة الفراق، فتوقف عن سذاجة احتمالات اللقاء التي ما لبثت أن تحولت إلى رماد اشتياق.

أدرك أن رسائل حيرتي لن تصلك، وإن وصلتك عبثًا ستكون خاوية بلا أبجديات عنواني، منذ أن قررت معاقبة أمنيات أحلامي بإلقاء كل توسلات البقاء وآثرت الرحيل.... لن أحاول ثانية البحث عن ظلك، ولن أتصفحك بجريدة يومي ولن أسعد غياب روحك بسؤالي غير المبرر عنها، بعد أن أبدت كل محاولات إنقاذ شوق كان يحتضر.

صدقة جارية ١ مارس ٢٠١٢:

شعور مخزٍ حين تتصنع الابتسامة أمام وجوه فرضت عليك فرض عين، لا لضعف شخصية إرادتك ولكن لحياء يقبع بين جوانح فكرك، وقتها تلقي باللوم على والديك، لِمَ جعلتماني أتجرع مرارة الحياء منذ نعومة أظافري؟ في زمن يعدون فيه الحياء سذاجة، والاحترام قلة حيلة، وصدقة الابتسامة نفاق، بينما كان التسلط قوة شخصية، وسليط اللسان مهاب، والعدوان اللفظي شجاعة وجرأة، والعدوان الجسدي بسالة وقوة، انقلبت موازين الأخلاق رأسًا على عقب، فأضحت الفضيلة رفاة وحلت محلها اللاخلق، تحياتي لكل شخص لازال قلبه ينبض خجلاً واحترامًا في ظل مغريات التحضر الزائف.

رسالة من ميت ٢٠١٢:

وصلتني منه رسالة يقول فيها: تمنيت لكِ الدنيا ملكًا لكنني وجدتها لا تساوي شيئًا، فدعوت لكِ أن تكون الجنة مستقرًا لقدميك، جعلك الله في هذا اليوم مع أول زمرة يدخلون الجنة ووالديك وكل عزيز لديك، عندما وصلتني رسالته كانت الملائكة قد زفّته إلى الجنة التي دعا لي بها بعد حادث أودى بحياته وهو لم يتعد الواحد والعشرين ربيعًا، لم أكن أتخيل سرعة استجابة أمنيته، وأن قناعاته ستصبح حقيقة قبل أن تصلني رسالته.

في ذلك اليوم ذهبت إلى دوامي المعتاد تنتابني حالة من الملل والفتور دخلت إلى تلك الشبكة العنكبوتية أتصفح الأخبار لعل شيئًا جديدًا قد حدث ليغير ذلك الروتين اليومي الذي اعتاد علينا قبل أن نعتاده، وإذا بأخي يتصل بي دون أية مقدمات يلقي خبرًا كاد أن يوقف نبضات قلبي: «اتصلي بعمك وعزيه. فرددت قائلةً: أيُّ عمّ فالأعمام كثيرون؟ وفيمن أعزيه؟ رد والحزن الأسود يعتصر قلبه: «ابنه محمد توفي في حادث سيارة، ذهب يعزي في زميل له فأبى إلا أن يلحق به، نزل عليّ الخبر كالصاعقة، فلم يقضِ على الملل والروتين فقط بل كاد أن يقضي عليّ، جلست أستغفر واحتسبته عند الله من الشهداء، اتصلت بعمي لكنه لم يجب لعل بلواه كانت أكبر من أي عزى يقدم إليه، وأي مواساة تلك التي تقوى على لملمة جرح سكين غائر طعن به على غرة في وفاة ابنه الأكبر. استسلمت لحزني وأصابتني حالة من اليأس، حتى أنني أهملت الاتصال بعمي واعتبرته لن يجدي بل سيزيد آلامه، تغيبت عن العمل وطالت غيبتي، شعرت أن نفسي تسحبني لسراديب جلد الذات، وما الذي كان ممكن أن أفعله ولم أفعله؟ وهل أذنبت في شيء حتى أتلذذ بعقابي؟ أخذ شيطاني يوسوس لي ببضعة أسئلة ليخرجني من طاعة الله ويجعلني أتذمر على قضائه؟

طفقت أستعيذ من كيده الضعيف، وخطر ببالي أن أتصل بصديقة انقطعت أخبارها منذ وقت ليس ببعيد، انتابتني ظنون الخوف من فقد كل من أحب، فتحت درج مكتبي أخرجت موبايلي القديم لأستل رقمها علَّني أطمئن على حالها، وما إن فتحت هاتفي المغلق حتى وجدت رسالة من: محمد ابن عمي معنونة بـ تمنيت لكِ الدنيا لكنني وجدتها لا تساوي شيئًا، أي هراء هذا؟ وهل للموتى أن يرسلوا رسائل بعد الموت؟

أخذت أعود مرة أخرى لتفاصيل الرسالة لأتأكد من الراسل، وشيطاني لازال يرافقني لعلني أصابني الجنون عدة مرات وأنا أدخل تفاصيل الرسالة لأرى ماذا دهاني هل حقًا فقدت صواب فكري؟ أكثرت من الاستعاذة ودعوت الله أن يبصرني فقد غشت عيني دموع التخبط والشتات، إذا بي أرى موعد الإرسال بتاريخ نفس اليوم الذي توفي فيه محمد، بل ليس اليوم نفسه بل تقريبًا قبل الحادث بعدة ساعات، وقد أخطأ وأرسل الرسالة على رقمي القديم الذي كنت قد أغلقته ورميت به في أدراج صماء جافة كتلك الأيام التي تسلب منا أعز من نحب دون سابق إنذار....

وقتها تذكرت حكايا جدتي التي كانت تخبرني فيها عن عالم الموتى حين تنتابها أشجان الحنين لجدي الراحل، فكانت تقول أنه يرانا ويشعر بنا وليس هذا فحسب بل أنه أخبرها قبل أن يموت أن

أجله قد حان، وقتها سألتها وهل لإنسان أن يعرف أن موعده قد اقترب، فردت غاضبة: المؤمن يرى بنور اللّه، وكم من موتى شعروا بدنو أجلهم، وقتها فقط أيقنت أن تلك الرسالة لم تأتني عبثًا بل أتت من ميت حيّ أراد أن يوقظنا من غفلة دنيا مصيرها الفناء....

حماقة كبرياء ٢٠١٣:

كثيرًا ما قرأنا عبارة لم نعِها: الموت بسّام على كفه جواهر يختار منها الجياد كنا أطفالاً أكبر همنا أن ندرس للامتحان أو نتقرب من أمنا حتى تمنحنا حق حضور حفل بعض الصديقات.. كانوا يقولون لنا أن من يموت يصعد عند اللّه.... وهو يرانا ... ونحن يومًا ما سنراه تخيلنا أن هذا اليوم قريب... وأن الزيارة مفتوحة مجيئًا وذهابًا.....

لم نكن ندرك ما هو الموت.... الآن فقط كبرنا وعرفنا أنه فراق بلا عودة.... وأنه لا ينتقي سوى من نحب، فكم من أحباب هجرناهم بدعوى الكرامة أو عزة النفس حتى فقدناهم للأبد ليتنا أخبرناهم بمقدار حبنا لهم، ليتنا تنازلنا عن بعض صفات البشر.... ليتنا ارتدينا ثوب التسامح.... لكن أتى وقت لا يفيد التمني... حتى إذا أردنا الاقتراب فلن يجدي لأن البعاد فُرض علينا تحت مسمى الموت... تبًا لتلك الحماقة التي تسمى كبرياء... تبًا لقلب أخفى بين أضلعه حبًا يؤرق نومه، رحماك يا اللّه بقلب كان وما زال يتغنى بذكرياتهم... يقتله

ندم فراقهم... يئن في صمت.... يتمنى لو عادت به الأيام حتى يمحو كل تلك الحماقات بضمة حضنهم حد الارتواء...

أردت أن أعاقب إهمالها فهجرت أرض صداقتنا، فعاقبتني عقابًا أشد وهاجرت إلى السماء..... سامحيني فلازلنا بقلوب أطفال نبكي ونغضب ونهجر ثم نندم بعد فوات الأوان.....

شكرا لأنك في حياتي ٢٠١٣ :

لا أدري ما الذي يعتريني من شعور خفي يلامس شغاف اللامعقول، تتساءل جوارحي في حيرة، وهل مثلي يشغل حيزًا من اهتمام فكره سعادة عارمة تخفض جناحها على اضطراب قلقي لتحيله لسكون خجل في حضرتك، وهل هناك رجل مثلك يستطيع أن يروض شتات هواجسي لتخلد أمواج أفكاري العاتية في سُباتٍ عميق؟؟

لا أدري ما مبررات ثقتي برجولة خلقك، ونقاء سريرة إحساسك، وشفافية مشاعر شهامتك؟ في زمن انتهت فيه معجزة الحب لوجه الله، علّها تلك المرة الأولى التي ألتقي بها رجلاً لا يريد شيئًا سوى أن يلقي بين جنبات أحلامي سعادة يرسمها على محياي بتواجده في مداراتها، ليشاطرني جنون طموحاتي، وتمردات صهوة أيامي.

أدركت بعد أن التقيتك أن الحظ صار حليف خيالاتي، وأيقنت أنني أكثر حظًا عندما ألقت بك المقادير لتلملم جراحات خفقاني، وتنقش

بإصرار هيبتك طريقًا أقتفي فيه أثر أنفاس نجاحاتك؛ لأرددها بين فجاج الجبال وحبيبات الرمال، نعم أعتز برجولة رصانتك، وبصمت أغوار هدوئك، وببعد نظرتك الحالمة، وتفخر نفسي بأنك زوجي، شكرًا لأنك في حياتي.

صفعات القدر ١٤يونيو ٢٠١٢:

عندما تنهال عليها صفعات القدر، لا تملك سوى أن تدفن رأس أحلامها بين حنايا أضلع إحساسه، ببراءتها المعهودة تقص عليه بعضًا من حماقات فكرها، ليفاجئها بانهيال آلاف التساؤلات التي تخرجها من طور طفولتها لتجعلها بين يدي جلاّد عفويتها، معاتبًا تارة، ولائمًا تارة أخرى، يجعلها تقسم أن تفكر آلاف المرات قبل أن تبوح بنسيج خيالها لمشاعر رجولته الغيورة، ثم لا يلبث أن يأخذها حنين الاحتواء لتلك المنطقة المحظورة، فتعود برياح أفكارها المتوترة لتلقيها بين عيني سحره، لتتلقى منه ويلات الحنين، ولا تتقن الدرس؛ لأنها مهما حاولت أن تطبق كيد حواء العظيم تشق عليها أنفاس المراوغة، فتصبح بين راحتي رجولته طفلة تعترف بما اقترفت من آثام صدق مهما كان العقاب.....

مَشاعِرُ متأرجِحَةٌ ١٢ سبتمبر ٢٠١٢ :

تأتي على نفسك لحظات سكون، تفتقد طاقتك، تركن إلى العبث

دون أن تضيف جديدًا إلى يومك، تنتظر حدوث شيء ولا تدري ما هو تميل لمراهقة فكرك، ولغو طفولتك، تتمنى أن يكون أكبر عقاب لك هو حرمانك من مصروف يومك، وقتها تتمادى في لهوك لإرضاء عفويتك، تتخبط كلمات داخل جدران شعورك لا يفهمها أحد سواك... تعلن ثورتك على بعض البشر... تتنصل من حبل مزيف يربطك بهم، تقترب أكثر وأكثر من أناس لا يربطك بهم نسب أو دم، ولكن يشدك إليهم طوق حب.

تبني آمالاً وأحلامًا، تتعلق بهم حد الجنون، بعد أن اعتادت نفسك على طيف مشاعرهم الذي يزور أريكة حلمك، فتنتشي فرحًا، يجعلون ليومك مذاقًا خاصًا كنت قد افتقدته.

ثم لا يلبث طيفهم أن يهجر روحك، وتتسلل الرتابة شيئًا فشيئًا، يبخلون عليك بما كانوا قد جعلوه لك حقًا، بعد أن استودعتهم قلبك، وبعد أن أشبعوك تدليلاً، تفقد كلماتهم تأثيرها في نفسك؛ لأنها لم تتعدَ ألسنتهم، تتساءل هل شغلتهم دنياهم؟ أم أنهم ملّوا حديث نفسك؟؟ تتوارى خلف نوبات قلق وتوتر تظل تتأرجح بين خط الذهاب والإياب، فلا تملك جرأة اتخاذ قرار، تحضّك نفسك على أن تظل برفقة وعودهم التي ستمحو كل ألم ألمّ بك، لكنك تجد جوارحك تقدم استقالتها من قلوبهم لأنهم لم يزيدوك سوى وجع انتظار.

مُشْكلتي أنّكَ مُشْكلتي ٢٦ أغسطس ٢٠١٢ :

لازلتُ أشتم رائحة آخر لقاء لنا، لازلتُ أبحث في الأفق حائرة أفتش عن شيء قد ضاع مني، عن ليل من الشك الطويل أحاطني، مضيت أبحثُ في عينيك عن نور اليقين، بفطرتي أحببتك، ألقيت بكل أوراقي على أعتابك، نحّيتُ العالم كله جانبًا، فحوسبتُ على فطرتي وتفاقمت أوجاعي، وددتُ أن تخلع عباءة همومكَ، وترتدي غيمة حبي لتهطل أمطار مشاعري بلا استسقاء.

لكنك رجل لا ترقى لمستوى جنوني، فأنا يا سيدي امرأة لا تشبه النساء، وطريقة عشقك أزلية، ينقصها أشياء وأشياء... أما أنا في حُبّي فوضوية مشاغبة حد الاكتفاء، وما حيلتي وأنت مكبل المشاعر، ووأد الحبّ في شرعك عدالة، وقتل العشق في عقيدتك اهتداء.

أتراني فتقلب ظهر المجن!! أتزعمُ ألا يجمع بيننا أشياء؟؟

فلا الليل يُخفي لو أراد نجومه ولا القلب يقوى أن يُغتال حبه، ولي في قضيتك شهود وشهود، إذا سألتهم يخبرونك ما لا تشاء، فسلْ قلبك عن خفقانه، ومشاعرك عن اضطرابها، وسلْ لسانك عن انعقاده، وسل الطيرَ.... والزهرَ... والأرضَ... والسماءَ....

أيها الراسخ كالطود، الشامخ كالنخيل، تعرى من غبار السنين، أيها المبتل بألم الغطرسة، اخرج من أساطير عشق الدراويش،

obeikandl.com

أيها الملتحف بلحد الصمت، لا تصرخ همسًا، لا تتخبط في تيارات اللامصير، لا تحيا بين مفرداتك التعسة، اهدأ قليلاً فأنت كنت ولم تزلْ عنوان عمري في صفحات حياتي.

أدركُ سيدي أن ما أكتبه عبثًا، إحساسي أكبر من حرفي، لكني أخط على قلبك بعضًا من فيض حبي، أكره كل كتاباتي، وأحُبّكَ دون الكلماتِ، أُحاكيكَ بكل رواياتي.... مشكلتي.... أنك..... مشكلتي.

أشْباهُ الّرجالِ ٢١ يونيو ٢٠١٢:

أيها الرجل معذورة أنا إن سفكت أحلام أوهامك على صخرة أنوثة قسوتي، فكم من امرأة تريد أن تحشد في جعبة رجولتك، وكم من أنثى تلفظت شفاها بأبجديات اسمك، تختال في ألق مترجلاً بين قوافل النساء اللاتي يتوهمن صدق نوايا شوقك، تجذبك هذه برقة حسن جمالها، وتلك بكبريائها، وأخرى بعمق فكرها.

بين كل هؤلاء تظل تواطئ نفسك متحيرًا، لا تدرك من تريد؟ أو ماذا تريد؟؟ تعبث بشتات قلبك برخصة الحب، عن أي حب تتحدث؟؟ وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، أم أنها رجولتك التي تجثم يديها على عنق الفضول لاكتشاف مجهول النساء حتى تسقط براءتهن صريعة لا حيلة لها.

أنانية رغبتك هي سيدة الموقف التي تسترق حنين الاعتياد، تداعب أيكة الصمود، وتعانق متاهات الصدّ حتى تقتات حكاياتهن، فتكسر نبضات أمانينهن، فتتعجب كل العجب وتُعرض عن أطياف وجوههن، وتميل عنهن وكأنك فقدت ذاكرة الحنين، كم كنت ترتل تعويذة حبك مع أنات الليل راجيًا الوصل!!

وسكبت أنهارًا من الكلمات بلا حصر، وبنيت قصورًا من مشاعر الزيف هناك في الركن البعيد، الآن لا شيء في مسام العشق سوى صرخات الأنين، حتى الأماني باتت غائمات، والقيد صار يقتل ليالي فضولك بين أدراج القرب والاعتياد، تسير بزهو على أشلاء جثث الخذلان، ويجف نهر الأحرف بيننا، وتنتحر الكلمات، ويزورني حزن الصقيع تجاه بابي تحتويني آلام العناد، ويجيئ صدر إحساسك يساومني حد الاعتلال والبكاء؛ لأفترش صخر أدمعي، ويكسوني ثوب البعاد في عيون هذا المساء، لا تخجل مني إن نزعت عنك ثوب الكبرياء، فأنت يا من تشبه الرجال لن تكفيك كل أنواع النساء..

عُذراً أيّها الرجل ٢٠ يناير ٢٠١٢ :

سيدي لستُ إحدى سباياك ولا ممن ضللن السبيل في غابات عينيك، فلن تعبث رياح خريفك بأشجار أنفاسي، فمهما أصابني الصقيع فلن أرتجف شوقًا سأغسل بصمات الحب العالقة بفؤادي،

وألوذ بصمتي؛ لأجتث ما علق من حبك بأروقة قلبي، فإن كنت قدرًا ظفرت بالكثير من قلوبهن، فأنا لست إحداهن، فلن تنال من قلبي إلا ما ناله العصفور من الفتات، سأشيد سياجًا واقيًا ضد سياسة الكر والفر التي تتبعها؛ لأمارس عنادي بكل براءة أمام رجولتك.

سيدي إذا كنت صادفت قبلي نساء ارتمين تحت أعتاب قلبك، وتوسلن لنيل بصيص حبك، فلست إحدى قتيلات عشقك، وإن كنت اتخذت من قلوبهن مصعدًا للوصول إلى منارة فؤادي، فقد عانقت السراب دون أن تعي، فجرعة الثقة التي أخذتها غير كافية، فلا تترجل أمامي بأناقة حرفك، فلن تؤسرني شِباك عطرك، ولن أذوب حبًا في فنجان غطرستك، فوداعة ابتسامتك لن تداعب روحي، وعينيك اللامعتين مهما تسللتا فلن تسحراني، ونخب حنينك لن يُسكرني، بذور حبك لن تنبت إلا حطامًا تذروه الرياح.

فلستُ معطفًا ترتديه وقتما تشاء، وتلقيه حيثما تشاء، لستُ فظةً يا سيدي لكنك أنت من علمتني كيف أرسم للغلظة مليون بابًا موصدًا، فأنا امرأة بسيطة، لكن سذاجة حبك جعلت فطنتي تفوق براعة كل الحكماء.

إن كانت كل الطرقات تلمُ خطى أنفاسك سأرحل حيث اللاطريق، فلن أدخل في حمّى التجديف في يمّكَ الذي تموج فيه قلوب كل النساء،

وتتشعب فيه المشاعر حتى تقطر حزنًا داميًا، أيها المتشح بوشاح العشق، اخرج من شرنقة المقنع بالحب، فقد اختزلتك في ذاكرتي ببؤرة اللاعودة، فلا ترمقني بنظرة استجداء، فالشمس قد أفلتت برغم كل التوسلات.

لستَ أنتَ !!! ٢٧ أبريل ٢٠١١:

أنت غيرك أنتَ دونكَ، أنتَ أي شيء سواكَ، يا من جعلتني أكتبُ فيكَ قصيدة المستحيل، كسّرت قلمي، قطّعت كل أوراقي، مزقت كل فكرٍ صار يومًا صوبك، حاولت أن أتهجى أحرف وجهك المبهمة كصبغ الأرجوان، عجزت حكمتي، رجعت بفمي طعم النكسة، بقلبي غصة، بعيني دمعة.

بكيتُ كلّ الطرقاتِ، لكني أقمستُ ألا أبكي على الموتى سوى الشهداء، يا من أصابكَ الموتُ بلا داء، وداعًا دون بكاء، رميتُ عصاي التي طالما حلمتُ أنْ أتوكأ عليها، كنتُ أهشُ بها على آلام نفسي، ولّيت وجهي نحوكَ، ما أيقنتكَ سوى رداء تحمي جسدي من رعشة بردٍ وقت شتاء، فهَويتُ بعمري من حياة إلى بئر فناء.

وأدتني بنفاق مشاعرٍ، وزيف دموع ملأت بها الأرجاء، اليوم محوتُ اسمكَ من ربوة فؤداي، فأضحت عيناي لا تهوى أسهم نظراتك، تاهت ملامحي من أحداقك، وضعتُ سدًا بيننا، تحجرت دمعاتي داخل

عيناي، أغلقتُ كل نوافذي، أحرقتُ ما بقي من ذكرياتٍ، أبدّتُ نقوشك التي حُفرت بخلايا جسدي.... لا ندم... لا استسلام... لا استجداء، إن كنت تظنُ نفسك شيئًا، فأنا كرامتي أشياء....

دعني أُحِبُكَ ٩ أكتوبر ٢٠١١ :

دعني أُحِبُكَ بطريقتي الفوضوية، فأُديرُ مؤشر بوصلة إحساسك تجاه فؤادي؛ لأمارس كل طقوس حضوري، دعني أوقف كل ساعات تاريخك، وأُذيبُ أنهارًا من عناق القرب في جنبات أشواقك، وأشاكس فيكَ غيوم شموخك، لتورق أشجار المستحيل في جنات قلبك.

دعني أُحِبُكَ، ليعترينى حُبك كموجة غجرية، لا تُبقي شيئًا من كيان عنادي، وتسطعُ شمس عشقك، فلا أبرح مكاني حتى ينتابك هذيان حضارة جنوني، فحين أُحِبُكَ... ينام الدُّجى في معطفي، والشمس تشاطرني وسادة أحلامي، تتلاشى كل أشجاني، تصنع بسمتك نبضاتي، وأخلد أنشودة حبك فوق الربوات، وسفينة قلبي تشرع في كل الدُنا بلا مرساة.

حين أُحِبُكَ.... أرتدي كامل أنوثتي، وأتزينُ بقلادة عشقي، وأجمعُ كل النساء في امرأةٍ واحدةٍ لأنال رضاك.

حين أُحِبُكَ... أسجنُ أشواقي بلا أسوار، فتصرعني لهفتي لتورق غاباتك المترامية الأطراف، بلهيب معاناة قصيدك.

حين أُحبُكَ.... تُساورني الأشواق لزمانك، وتحملني الموجات لمكانكَ، فأجمعُ حبات اسمك، وأُحبكُها في عقد حبي؛ لتختلط كينونتك بكينونتي، وعطرك بعطري، وتتداخل خصلات حبنا فتصير ليلاً مقمرًا، فتزدان كل أيامي.

حين أُحبُكَ.... أطوي صفحات كل الرجال، وأراهم فيكَ، فلا تستهويني عوالمهم، ولا تأسرني وهم دنياهم.

حين أُحبُكَ.... أعتكف العالم أجمع، ولا أنْشدُ نبعًا سوى هواكَ، وأزهدُ في كل الكونِ إلا لقياك.

أُحِبّكَ ولكنْ ..٢٦ أغسطس ٢٠١٢:

أصرحُ لك أن ساعات عمري تتوقف حتى تشرق إطلالتك على سماء دنياي، أصرحُ لك أني أضحيتُ محاصرةً بك، تتعثر خطواتي عند غيابك، تعاندني نفسي، تتذمر..... تختنق... تعزف عن ممارسة طقوسي.

يسكنني مليون سؤال: أين هو؟ ماذا يفعل؟ مع من يتحدث؟ هل جال خاطري بخياله؟ تثور مشاعري، تتناثر أفكاري، يتواثب فضولي، يرهقني خيالي.

سعادتي المؤجلة تعلن بموعد هبوطك على مطار نفسي، يسيطر عليّ حضورك فيحتل صحراء ورقي، يعيد لي ما كنت قد فقدته

بغيابك، ألمحُ في عينيك حنان صدقك، وتحفزني رجولتك التي تعانقها فيض رقتك فيزداد تشبثي بك.

يرتجف مدادي عندما أشرع في رسمك على صفحات عمري، أتصبب خجلاً حين تغازل مشاكستي، فتعصف بي فلا أملك جوابًا، فأفقد سرعة بديهتي في حبك.

أحضن المدى جزلاً بقربك، أطوي كل المسافات بأحرف كلماتك، يا رجل أجوب العالم كله وأنا بين يديه، لن أحيا عبثًا حياة باهتة تنقصها ألوان بصماتك، لن أتنازل عن وجبة الحب التي اعتدت عليها منك، لقد استدرجتني إلى برمودا حبك، فلا سبيل لمقاومة تطرف مشاعرك، بعد أن غيرت كل مساراتي، فلم أعد أسلك إلا سبيلك.

أصبحتُ كغيمة تلاحقني أينما حللت، فخضعت لقدري الذي تعثرت به لأسترسل في بعثرة حروف حياتي بين يديك؛ لأحظى بطول حديث مع أنفاسك، فأرهقك مشاغبة، وتشطرني عشقًا.

أخشى على نفسي من أمنياتي العقيمة، من أنانية امتلاكك التي تقضّ مضجعي، أخشى أن يصيبني الزمان بغيبوبة فراقك، وأخاف كل الخوف من أن أطلب حق اللجوء داخل شراييناك، فيجبرني وطنك على الغربة، فألقى حتف رحيلي، ولا أعود.

شموخُ أنْثى ٢١ أغسطس ٢٠١٢ :

عندما يطاردني حنين الذكريات، ويلح عليّ، طيفه يهاجمني بكل عناد ليثبت أنه الحاضر بكل زمان ومكان، عندما تصر أبجديات حرفه على حصاري أينما يممت وجهي، ونظراته التي تأبى المكوث إلا بين ضلوعي، فبقايا أنفاسه تثير رهبتي من السقوط بين راحتي سطوته، وأفكاره تنشب الخلافات وتوهج العناد بمخيلتي، أما مواقفه الرجولية التي تؤكد لي أن زمن الفرسان قد عاد بعد أن سئمت الخيول طول الانتظار.

طفقتُ أبحث بين أناملي عنه لأشتم عطر حضوره، وأفتش في معطفي عن بقاياه لأرتمي بأحضان خيالي، أستحضر صوته بسرية تامة حتى لا يسمعه أحد سواي، أغفو على ذراع الشوق، وأستيقظ على لهفة اللقاء.

تتزاحم برأسي الأفكار فتلقيني في دوامة من فوضى المشاعر، تُسائلني نفسي، كيف استطاع فك عقال حبي؟ ومن أنساه عذرية لقائي؟

يخبرني عقلي بأنه ربما خطني بقلم من رصاص على صفحات قلبه، فسهُل عليه محوي، فهان عليه بعثرة حروف مشاعري، وقضى على مخزون عشقه الذي كنت أقتاته وقت الجفاف.

orelkandi.com

أيها الرجل المبهم ظننت أن ما أحببته فيك أوصلني حد فك شفرات هذا الغموض، وأجلسني على سحابة أفكارك المثقلة بندى السنين.

أعرف أنني أربكت إحساسك المرتب على أرفف الرتابة، واقتحمت مدينتك غير المأهولة بالسكنى، بل وقمت بإعادة رصف عادات فكرك، أوقن أنني أسكن كل زواياك، وأطل عليك من غيمة شرودك، وأشاطرك أحلام وسادتك، أدرك كل هذا، بل ومتيقنة أنني أكثر من هذا بكثير، لكنك في حرم الحب عليك أن تتنازل عن كل أسلحتك الهزيلة، وتتوقف عن عبث المساومة حتى لا أمتطي صهوة كبريائي، وأنزع فتيلة حبك ليدوي انفجار مغفرتي، فأفقد ذاكرتي وأترك لك الأيام لتحمل حقائق تاهت على أعتاب حساباتك، وقتها فقط ستدرك جيدًا كيف ترسم لوحة لشموخ أنثى.

اخْتِنَــاقُ عَبـْــرَةٌ:

عندما تُتَهم بتهمةٍ تكون مُشرفة من وجهة نظر الكثيرين ولكنك تُفاجأ بمن يستفزك ويقول لكَ بصوتٍ جهوري يهز كيانك: طموحك سيُدمرك!!!

نعم تشعر بتضارب داخل نفسك ويخفق قبك خفقات تحت أضلعك، يكاد يخترق هذه الأضلع معترضًا على تلك التهمة التي وُصم بها.

كيف السبيل إلى الدفاع عن النفس أمام تهمة يتمنى الكثيرون أن تصيبهم؟؟؟ خاصة ممن كسرهم اليأس وهدهم الصبر، وجار عليهم الزمن.

عندما تتهم بالأنانية وحب الذات لمجرد سعيك إلى النجاح، وتخطيطك لمستقبلك، واتباعك خطى حثيثة بدقة متناهية.

عندما يرمونك بأجحار الجنون وأنك تريد لمس الأنجم وأنت تقف على الثرى، أو أنك تعترض على الواقع وتحاول أن تغيره وتجعله طوع أمرك، ويسخرون من إصرارك وإلحاحك على هذا التغيير، عندها ستُسدد لكَ اللكمات من كل من يحيطك، ولا تدري أكفاحك ذهب سُدى، وأصبح كورقة تحملها الرياح كيف تشاء؟؟؟ يختلط الأمر عليك ولا تقوى على النطق ببنت شفاه، تتساءل هل أنا مخطئ؟؟؟

أم أن البشر أضحوا يتهمون الطَموح بالجنون في زمن أصبح الخمول والتواكل والوساطة والمحسوبية سمات مميزة، عندها ستنفجر بداخلك براكين الحزن واليأس معًا، كيف السبيل إلى النجاة من هؤلاء البشر؟؟؟

أأختار جزيرة لأحيا بها بمفردي لأنجو منهم بطموحي؟؟؟

ولكن إن فعلت ذلك فأي طموح سيمنحني السعادة؟؟؟ وأي سعادة تلك التي سأجدها وأن أسجن نفسي، وأعاقبها بما اقترفه غيري من

آثام، ويبقى السؤال يدور برأسي يلفها يمينًا ويسارًا يكاد أن يصيبني بالجنون كما يدعون، أين المفر من هؤلاء؟؟؟

وكيف السبيل إلى الحياة دون أن يحطموا جبال أحلامي بكلمات بائسة تخرج من أنفس ضعيفة؟؟؟ والأدهى من ذلك أن تشعر بأنك بين فكي الرحى، فيجتمع عليك الشرق والغرب على السواء، والقريب والبعيد يهاجمك وهنا يختلط عليك الأمر، وتفقد الإحساس، ولا تستطيع التمييز بين من يُحبك، ومن يَكِن بقلبه البُغض ويدعي الحب، وينتابك شعور فظيع وكأنك تختنق ببطءٍ شديد، وتنهال عبراتكِ ولكن هل من قلب يئن لهذه العبراتِ؟؟؟

أم أن الجميع ينتظر منك نقطة ضعف حتى يشبعوا ما في أنفسهم من شعور بالزهو أمام انهيارك، هل تستسلم؟؟ هل ترفع رايتك لهم؟؟ هل تمنحهم ذلك الشعور الذي يحلمون به؟؟

في نهاية الأمر تجد أنك تمسك ورقة وقلمًا وتخط أسماء كل من يحيط بك من بشر، وبالقلم الأسود تمحو بعضهم لتخرجهم من قائمة حياتك للأبد، فهؤلاء بشر لا طائل من ورائهم سوى إحباطك والاستمتاع بذلك الإحباط.

وتخط بقلم أخضر على البعض الآخر، وتقول نعم هؤلاء يستحقون لقب إنسان.

هنا تجد إحساسك باليأس قد وأدته وتجد أن رصاصة طموحك قد انطلقت تشق العُباب، غير مبالٍ بنظراتهم إليك، أو سخريتهم منك، أو اتهامك بالجنون.

لأنك ستدرك قول الشاعر لذة العيش المتاعب، وتتيقن أيضًا أن لولا هؤلاء البشر، وتحديهم لكَ ما تمكنت من الصمود على أرض طينية موحلة.

فلا يسعك في النهاية إلا أن تتقدم لهم بأسمى عبارات الشكر؛ لأنهم صنعوا منك إنسانًا عنيدًا وصامدًا أمام أعاصيرهم التي يستحيل أن تثنيك عما يدور برأسك، وعن طموحك الذي هو حياتك بلا ريب، والذي لا يمكن التهاون في الوصول إليه أيًّا كانت الأسباب....

انطفأتْ شمعةٌ وسالتْ دمعةٌ ٢ أغسطس ٢٠١١ :

جاء يوم مولدها، لكنه لم يأتِ، لم يعانق لهفتها كعادته، لم يحتضن كف توترها، لم تشعر بدفء صدر إحساسه، وحنو أنفاس حضوره.

لأول مرة بحياتها تشعر أنها فقدت سنة من عمرها، لأول مرة تخشى الهِرم، لطالما انتظرت ذاك اليوم حتى يسعدها حبيبها بقوله: أحبكِ أكثر من السنة الماضية، وأنتِ أجمل النساء، فكثيرًا ما كان يقول لها: أن كل النساء يمر عليهن الزمن فيترك تضاريسه وبصماته، إلاكِ يا حبيبتي فالزمن يضفي عليكِ جمالاً وبهجة وأناقة.

هذا العام لم ينوِ لها نية طيبة، مع أنها كانت سعيدة برقم واحد المكرر فيه، توسمتْ فيه البساطة والرقة، لكنها فقدتْ فيه حضن الأب، وأهملها من تحب، وتحطمتْ بعض من آمالها، ولن تتحدث عن الخسائر المادية؛ لأنها كانت أقل الصدمات، حتى وإن تعدت ما يُعد من الأرقام.

أصابها اليأس بوقت ليس بقليل، هدها الحزن على فراق الأحباب، هزها الشوق لرؤيتهم، خسرتْ بعضًا من أحلامها، آلمها بُعدها عن بعض صديقاتها ونسيانهن لها.

لكنها هذا العام تعلمت أشياء لم يعلمها لها والداها:

أولها: كنْ ابن من شئتْ وافتخر به ولا تنس أنه سيأتي يومًا وتفقد مصدر فخرك؛ لذا استعد لهذا اليوم جيدًا قبل أن تفاجأ به.

ثانيًا: لا تضع البيض كله بسلة واحدة، حتى لا يأتي يومًا وتبكي عليه بعد فقده، كثيرًا ما سمعت هذه المقولة، لكن بهذا العام فقط أدركت معناها.

ثالثًا: كن صاحب قرارك، ولا تخبر أقرب الناس إليك بهذه القرارات إلا بالوقت المناسب حتى لا يتدخل في شئونك بدافع حب الامتلاك أو الخوف عليك، أو الرغبة بقيادة دفة حياتك كما يشاء.

openkanal.com

رابعًا: لا تتكئ على جدار واحد، فأنتَ لا تعلم متى سينهار، وابنِ لنفسك جدارًا فولاذيًا..... لا تخبر أحدًا عنه.

خامسًا: إذا أمنت وفاء وحب المحيطين لكَ، فلا تأمن غدر الزمان بهم، فقد يخذلهم، وبالتالي هم يخذلوك.

سادسًا: حدد لنفسكَ أهدافًا، ولا تتنازل عنها حتى تلقى حتفك، فالإنسان بلا هدف ميت حي، فالأجدر أن تموت شهيدًا على أن تحيا فقيدًا شريدًا ذليلاً.

سابعًا: لا تصارح الناس بما يؤلمك حتى وإن كان الأسى يعتصر فؤادك؛ لأن البشر نوعان، فالصنف الأول سيحزن لحزنك، وتكون جزيت من يُحبك بالعذاب، والصنف الثاني يشمت بك، وربما يستمد سعادته من حزنك، فقد علمتُ أن صمتي متجر فلزمته، فإن لم يكن هناك مكسبًا، فيكفي أنه ليس فيه خسارة.

وآخر ما تعلمته: لا تقترب من الناس كثيرًا؛ لأن هناك من يتسلل إلى قلبك بهدوء حتى يتمكن منه ثم يساومك عليه، إما أن ترضخ له، أو ينشب براثنه فيه، فيتركك جريحًا، وهناك من يتودد لك رغبة في الوصول لخفايا نفسك، فيلمس نقاط ضعفك، ثم يتركك بعد أن يشعرك بقوته، والبعض الآخر يكتسب مكانته من التلميح بصلته بك مع أصدقائه، مع أنك مجرد بشر عادي، بعد أن أفرغت ما بداخلها

من شحنات كره لهذه السنة التي لم ترحمها حتى وإن علمتها الكثير، بحثت عن شيء تقرأه، ولا تدري لماذا كانت تبحث عن شيء يبكيها، فوجدت نفسها تردد قصيدة يوم بلا غد:

عُدت يا يـــوم مولـــدي

عُدت يا أيهـــا الشـــــقي

الصبا ضـــاع من يـــــدي

وغزا الشـــــيب مفـــرقي

ليـــت يا يـــــوم مولدي

كنتَ يـــومًا بلا غـــــــــد

لا تدري بعد أن قرأت القصيدة خشيت على نفسها من الشيخوخة، وتمنت أن تموت قبل أن تصيبها، وأصابها الرعب عندما تخيلت أنها سينتهي أمرها بيوم من الأيام وستكون لا شيء كأنها لم تكن.

لكنها تحب الحياة، وتتمنى العمر المديد، احتارت فالمعادلة صعبة جدًا، ولا يمكن حلها، إما عمر طويل، وشيخوخة، أو موت قريب، وفراق من تحب.

هكذا احتفلت بيوم مولدها بمفردها دون أن تدري هل كان هذا حبًا لنفسها، أم رغبة في الانتقام منها؟!

obeikandl.com

صـــراع فـــــراق :

نخطئ كثيرًا حين نجعل قلوبنا كتابًا مفتوحًا، يدخله البعض ويذيلونه ببصماتهم..... التي لا تزيده إلا أوجاع فراق..... تبًا لقلب قد خابت فيه كل الظنون.....

عندما أغمضت عينيي لأتحسس طريقي على اقتفاء أثر شوقك فلم أجد سوى غموض تحيطه هالة من الحب المفقود، فأضعت عناوين الحديث معك، وأرهقني خيالي.

ذابت ساعات الانتظار لتختصر كل مساحات الصمت، فتوشحت ببقايا أول لقاء، لم أعد أحتمل اهتزاز صورتك الرجولية التي اعتدت عليها منك.

اضطررت لاجترار ما بقي من مخزون مشاعري تحت أضلع أنفاسي، بعد أن تعمدت إرهاق بهجتي العطشى لاحتضان إحساسك.

عندما تمتنع محطات وصولك عن استقبالي، وتعتقل نسمات الأمل، ليسيل طوفان الجفاء، وتطالبني بالعودة بوقت لاحق حين يروق لكَ، فتثير أوهام شكوكي ويصبح قلبي رهينة رحيل قد سكن بالأفق، فأستل مشرط جراحي لأستأصل جزءًا مني بعد رحلة معاناة يتجاذبها المد والجزر.

لقد أحببت ببراءة طفلة، وشفافية ملاك، ووقار عابد، كنت آتيك محملة بأزاهير الشوق من رأسي حتى أخمص قدمي، فتلفحني بضحكة ساخرة، نظرة ماكرة وسؤال يتخبط بين أذهان رجولة مؤقتة هل تقوين على الفراق؟

نعم لم أعد أحتمل احتراف البكاء بعد أن نضب مخزون أدمعي، وبعد أن أغلقت كل سبلك أمامي، لقد سئمت حالة الترقب لمزاجيتك المتقلبة، وسياسة الكر والفر التي أولعت بها، أخشى على نفسي من عواصف لقاء محتمل الحدوث، وقد لا يحدث، فقررت أن أتنازل لغيري عن سذاجة الانتظار؛ لأهديك باقات من صدمات الفراق كنت تخبئها لي خلف ابتسامات حيرة أغرقتني في موج من التناقضات، سأوقف عبث المراهقة التي كانت تستهويني في رحلتي البحثية داخل عينيك؛ لأتوقف عن حياكة عقد أمنياتي.

لم يعد الطريق معبد لخطوات أنفاسك، وقد سحبت منك حق التجوال في أروقة فؤادي، بعد أن انزلقت قدماي من طريق حبك، عندما احتسيت دموع إحساسي لترضي غرور كبريائك.

لأول مرة مذ أن عرفتك ينتابني شعور بالراحة المشوبة باليقين؛ لأنني أوقفت نبضات ضميري المدافع عن خيارات حبك المعلقة على مشجب الظنون؛ لأرتمي في أحضان أوراقي مع أفكاري المهاجرة على أنغام الحنين.

ترتجف دمعاتي وتتراقص أحرف الوداع على تنهيدة قلمي العاتب ليعود خاويًا بلا كلمات، فألتحف كل محاولات النسيان، وأسجل في مدونتي قصور وعودك بسكنى حضارة حبّي؛ لنفتقد عفوية اللقاء، ويصبح كلامنا ضربًا من المشاهد الرتيبة تحمل في طياتها صورًا مكررة، فتصير أحرفك كحقل ألغام تنفجر شظاياه في تلابيب أعماقي، فلا تخلف سوى جراح لا تبرأ، وجثة حب هامدة بلا حراك.

امرأة لن تقابلها سوى مرة واحدة بالعمر:

كل يوم نقابل كثيرًا من النساء كلهن متشابهات في تضاريس حياتهن فينقسمن في ذلك إلى ثلاثة أقسام: تلك المرأة الحنون المضحية التي تقضي حياة عمرها متفانية في تربية أبنائها وإرضاء زوجها فتعتزل عالم النساء وتهمل مظهر أنوثتها ظنًا منها أن وقتها أثمن من أن يضيع في البحث عما يرهق تفكير النساء، وأنها طالما تلبي مطالب أسرتها فقد أدت ما عليها من واجبات على أكمل وجه، ولا يستطيع أحد أن يوجه لها أصابع اللوم بالتقصير أو الإهمال فهي لم تقصر في شيء يخصهم، أما ذاتها فلا يحق لأحد أن ينقدها.

أما النوع الثاني من النساء هو ذلك النوع الذي يترجل ليل نهار بين أرجاء "المولات» و«الصالونات» وعبث الطرقات لا تهفو نفسها لشيء إلا فعلته ليس لها هدف في حياتها سوى العزف على أوتار

الأنوثة المزيفة، فهي امرأة خالية الفكر، مراهقة المشاعر، سطحية الثقافة، بدائية الأسلوب، لا ترى الكون إلا من قشرته الخارجية فقط، يروق لها ذلك الرجل الذي يبهرها بمادية أشواقه التي لا يملك سواها فتهفو نفسها إليه،

فسرعان ما يتلاعب بمشاعر سطحيتها، فتتخيل لوهلة أنها امتلكته بجمال أناقتها الأخّاذ، فلا يلبث أن يصيبه ملل الجوار بامرأة لا تجدد في حياتها سوى ثياب باهتة الألوان.

أما النوع الثالث والذي نادرًا ما نقابله أو ربما نقابله طيلة حياتنا مرة واحدة فقط، هي تلك المرأة الناضجة الفكر، والذكية الملامح، وضاءة المشاعر، مهابة الخطى، لم تغفل عن ذات إحساسها ولم تهمل مسئوليات قدرها، ما إن فتحت معها باب الحوار حتى بهرتك بتلك النعومة الخارقة الفكر، ثم لا تلبث أن تقارب بين أناقة عقلها وبراعة ثياب ذوقها حتى تجد نفسك قد فشلت في الوصول لكنف حقيقة تلك المرأة الغامضة الخلجات، فيخشى الاقتراب من فضيلة أنوثتها الرجال؛ لأنه يقبع بداخلها شخصية يهابها كل رجل، ويهفو من يقابلها لفك ألغاز تلك المرأة الأسطورة.

رجل لن تقابله سوى مرة واحدة بالعمر:

كل يوم نقابل كثيرًا من الرجال، كلهم يتشابهون مضمونًا وإن

اختلفوا شكلاً إلا هو، فهو يختلف عنهم اختلافًا تامًا، فمن أول وهلة عندما تلقي به الأقدار على شرفات دربنا نلحظ ذلك الفرق، فعندما يبدأ محادثته يكون حالمًا خجولاً تأبى عيناه أن تختلس نظرات الشوق أو حتى الفضول لمعرفة بعض من تفاصيل من يحاوره، برغم رقة أنوثة بعضهن إلا أنه يكون أكثر منهن خجلاً في رقة حرفه وبراءة نظرته، وعذوبة منطقه، وقوة شخصية فكره، نتذكر به هؤلاء النبلاء الذين ظهروا بقصص جداتنا، والقادة العظماء الذين طالعنا سيرتهم في أساطير خيالنا، فإذا به ذلك الرجل الذي يمر طيفه سريعًا كالنسيم الذي يسترق المداعبة لزهرة ملساء في وقت السحر، ثم لا يلبث أن يختفي في غياهب المجهول.

أتساءل هل حقًا سنقابل مثل هذا الرجل الفطن بريء الأحاسيس أو تلك المرأة الأسطورة في حياتنا أم أن المعجزة لا تحدث سوى مرة واحدة فقط بالعمر، ولربما انتهى زمن المعجزات؟؟؟

حَيْنَ يُكفّنك الحُزْنُ:

انهالت عليَّ أسراب من الأشجان، آلمني الشوق في أحشائي، غافلتني الساعات وأجهضت حبي، موغلة أنا بحزن دفين، لا شيء يقتلني سوى الحنين، سافرت خلف الحدود، رحت مع مخاوفي، وتناسيت كل الوجود.

كان لي عشق وكبرياء وصمود، هو حامل المشكاة من أبد الدهر المُهين، صوته المجبول من روحي يبعث فيّ كل آمال السنين، ظللت في محرابي أتعبد في غيابه خلف الأنين، أمسافر يا سيدي؟؟؟

أو تاركي أعزف قيثارة الحزن؟؟؟ ومن يلملم كل ما بي من جراح صمت على مقابر جوارحي نزفت عقود الياسمين....

وهل للقياك سبيل سوى أن أكون جثة ملقاة خلف غبار الدهر الذي أثقل كاهلي الهزيل!! يممّت وجهي نحوك منتظرة لحظات من الحب أسجلها بالدفاتر والمتون.

شبَ الشوق بقلبي أشتاق لتطوقني بمعطف حنانك، وفوضى مشاعر كبلها ظلم السجين، ألقت بي المقادير بأغوار المفاتن، ضمنت حبه وتخيلت أنه ليس بفانٍ، سقطت بهاوية الحياة، نسيت ما بداخلي من شوق وحب ولهفة، فاغفر لقلبي يا أبي قد بعت هواك خلف جدران السنين، فالنفس مرهقة الخطى، والعين مدمعة المقل، والقلب عليك قد انفطر، فلا المكان هو المكان ولا الزمان هو الزمان، سافرت في غربة المجهول، أتعرف كيف يكون طريق المسافر؟؟؟ بلا هدى ولا راحة ولا يقين.. يا أيها المفتون بالشوق لوالديك أمسك عليك شوقك قبل أن تسجنك الحياة خلف الوعود والآمال فلا تجني سوى قلب حزين...

obeikandi.com

كاذبة تلك الدنيا، غافلة عن حكمة الموت الذي ينتقي الجواهر فيأبى إلا أن يتركها إلا وهي بحوذته... تمر عليّ الدقائق مر سنين جزرًا ومدًا، تلقي بي من ألم... لجرح... لفراق... لبقايا طفل صار يتيمًا... شاردًا لحظة لا يدرك من الزمن سوى جرح عظيم...

أهلكني السهد وبت أسألك أتراك تراني؟؟؟ أتراك تلمس ما بي من حنين؟؟؟ أبتاه أهواك ولكن ضاعت قبلاتي خلف غيوم....

إن غابت شمسك فأنت عني لم تغب، ما أضيعني بين فصول البرد تمزق الجبين، أحتاج لدمعٍ يغسلني علّ الدموع تُزيل بعضًا من ألم دفين...

وأي دموع تقوى على إزاحة أنهار من الأحزان، باتت براكين، أبتاه دونك صرت فرعًا بلا جذر تعبث به رياح المبغضين، أبكي على أطلال باتت هي كل الحياة لجسد أضحى سقيمًا، أهواك وبقلبي تحيا وتأبى النفس أن يُقال مات أبي رحل الحنين....

مَغِيبُ اليَاسَمِينْ ١٠ مارس ٢٠١١:

لم أكن أدري أنك راحل، لم أكن أتخيل أنك تاركني، أبي تركتني؟؟؟ تركت أشلائي ممزقة، تركت بقايا إنسان مكسور، مرارة تغصني، خنقت نجوى كل شيء جميل في فمي، لم أعد أدري أأنا على قيد

الحياة أم أنني قصة أوشكت على الانتهاء؟! أشعر كأن الزمان أطبق عليَّ كل مصائبه، وقرر أن يقتلني ببطءٍ، نعم خارت قواي، انهارت كل أحلامي، لم أعد أهوى الوجود، لم أعد أرجو الخلود، أمات أبي؟؟؟!!! أذهب حقًا ولن يعود؟؟؟!!!

أحاول أن أتقبل الواقع، أصبر نفسي بأنه بجنة الفردوس لدى رب ودود، ولكن حبي لأبي فاق كل الحدود، وشوقي لأحضانه صار نارًا تلتهب كلما لاحت صورته أمامي، فأغمض عيني لأحيا معه، وأظلم ضوء غرفتي لأستحضره وأخاطبه؛ ليشعر بي وألمسه.

كيف أسلو عنه؟؟؟ لا تطلبوا مني أن أصبر فقد ضاق صبري، لا تعللوا بأنها سنة الحياة، فأنا أدرك ذلك، وأنا مؤمنة بالله، ولكن قلبي ينزف، نعم ينزف من فراقه، كيف السبيل إلى الحياة؟؟ كيف السبيل إلى الحياة؟؟ هو يرقد على تراب وكيف لي أن أنام على فراش، كيف آكل وألهو دونه، يالقدري؟ لا أحد يعزيني، فأبي لم يمت، نعم لم يمت، هو يحيا معي، يكلمني، يناقشني، يواسيني وأحيانًا يعاقبني.

لكن يا ويلي يقولون مات أبي، هل حقًا مات أبي؟؟ يا حسرة قلبي لو كان مات أبي؟؟؟ يا جرح عمري أحقًا مات أبي، ولكني أراه أمامي فكيف مات أبي؟؟ أحاول أن أتماسك، أن أتحزم بالصبر، أقاوم ما بقي مني، أطلب منه أن يحتسب الأجر من الله، تعلو وجهي ابتسامة

صفراء يراها الآخرون يتخيلون أنني سلوت عنه، بين حنايا صدري جرح ينشب براثنه في فؤادي، تجتاحني ذكراك يا ساكن القبر، فإن كنت أنتَ مع ملائكة، فأنا مع بشر لا يرأفون، دنيتي أكثر ظلمة من قبرك.

أصمت والدمع قد نفد من روحي، أخشى أن أظهر ما في طيات قلبي، أُوثر الصمت والحزن القاسي يعتصر قلبي، أظهر زيف الابتسامة، ألجأ إلى خالقي فهو الوحيد العالم بما آل إليه حالي، أنتظر صمتًا لا حديث بعده، صمت حتمًا سنجربه كلنا بيوم من الأيام، صمت يجمعنا مع الأحباب.

ذبلت عقود الياسمين، وتساقطت حباتها، عصفت بها رياح السنين، وآل حالها خلف تراب، فألقوا عليها بعض الرياحين، وغمروها بماء الورد، لم تترك لنا سوى الأنين، وقلب مكسور حزين، بعد موت أبي قد غابت كل الياسمين.

لَوْ كُنْتَ لِي لَمَا كَانَتْ الدّنْيَا لِأحَدٍ سِوَانَا ٢٧ أبريل ٢٠١١:

لو كتبتُ فيكَ لجفّ مِدادُ قلمي قبل أن أصفَكَ، فكلٌ ما فيكَ شعرٌ، فأنا أنتظرُ حبك الطارق لنافذة فؤداي، فأنتَ قيس الذي أتى في منتصف الليل تهفو روحه لقبس من النار، فتناقل الحي خبر ذلك المجنون العائد من فجر التاريخ، فهذا جنون لا يمارسه سوى أنتَ.

أرى حجرًا يحطم زجاجَ عنادي، ويبثُ الحب في دواخلي، برسالة منك تعزف على أوتار صمتي، يتردد صداها بين الجبال والوديان، فيصرخ الناس ويضيقون ذرعًا بجنون جرأتك، الذي لا أملَّه، والذي يثير بنفسي الأمل في حبٍ يغير العالم من حولي.

أرى في وجهِكَ كل الرجال قد اجتمعوا ناضجًا ومراهقًا وعابدًا، أمعن بعينيك فتلوح لي ابتسامتك لتسلبني من وجوه عابسة وسماء باتساع جرحي، أشعر أمامك بطفولة فكري، فلا تتركني حائرة في طريق مظلم لا يمكنني الرجوع منه ما أحوجني لمنارة حبك لتهديني.

تتوارى أحرفي خجلاً من التحرر من الأبجديات والمقاييس، ولكن أحاول الكتابة عن حبي لك فأجده يتجسد أمامي في معانٍ ضعيفة لا تعبر عما أكنه بداخلي من مشاعر نحوك..

تذكر أنني لن أسلو عنك ما حييتُ، ولن أقربَك ما حييتُ ستظل مثل الشمس لا أستطيع أن أحيا دون نورها الذي يبعث بقلبي الدفء والأمان، لكنّ الاقتراب منها يعتبر دربًا من الجنون؛ لأنه يعني الاحتراق والموت الأكيد.

فأنتَ مثل الجاذبية الأرضية أحتاجُ لقوة دفعٍ صاروخية حتى أفلت من مداراتك، فإذا رحلتُ عنكَ لأي كوكب حتمًا سأعود لأنكَ أنتَ الوطن وكيف أحيا بلا وطني؟؟!!

ارْحلْ وعَاركَ في يَديّكْ ٨ أبريل ٢٠١٢:

رميتُ قلمي، لملمتُ حقائبي، ألقيتُ بأوراقي من الشرفات، وعلى أبوابِ الدكاكين، وعلى الجدران رسمتُ سفينة يخفق شراعها وتسلمه للأحزان...

نقشتُ حروفًا مبهمة، وقلمي.... ينزفُ.... يبكي..... يتوسل لا تلقني مع الأوراق، أعلنتْ الساعة في معصمي تكتكات، وصفير هواء يجتاز كل الأرصفة والطرقات، ونوافذ تضربها رياح، ووجوه عابسة تُخفي أروع بسمات.

أنا راحلةٌ، سأختصر كل الحكايات، من عيون رجال جاحدة، ونساء مليئة بالغيبات، من حلافٍ... من همازٍ... من مشاءٍ، من مناعٍ، ومن كذاب.

من حبيب لا تعرف من حبه إلا بغضه، من قريب لا تعرف من قربه إلا بعده، من دعوة ترفضها السماوات.... من زيف كلامٍ.... من طفل ينحر كشاة بعير أو دم يسيل على الطرقات..... من صلاة ينقصها النية..... أو عمر يضيع بلا حُرمات.... من هذا وذاك وكل الدنيا.

أنا راحلةٌ لصومعتي.... لأنفاسي... لخيالاتي.... وكفاني كفاني ما قد كان....

سجن الدقائق ٢٤ أبريل ٢٠١٥:

ضريبة النجاح العزلة الاجتماعية، فجأة تتذكر أنك أوغلت في الانعزال بين تلال من الكتب لا تنتهي، أثناء ممارستك لطموحاتك تنتشي فرحًا، ولا تشعر بما يحدث حولك، من انفراط عقد الأصدقاء صديق تلو الآخر، تجد نفسك قد اختنقت من هدوء الليل وسكناته، فلا رفيق لك سوى عقرب الساعة الذي يسير ولا يبالي بك، رغم أنك دائم التحديق به ليل نهار، تستدر عطفه كي لا يرحل قبل الميعاد، وأنت تحاول وتحاول أن تفرغ كل ما لديك من واجبات تثقل كاهلك، فجأة ينتابك شعور غريب، تغلق كل صفحاتك، تهرول بحثًا عن ضجيج، عن أصوات عن أضواء عن أشخاص، ترتدي ثيابك على عجل وتلقي بكل الالتزامات عرض الحائط، حتى عقرب الساعة تهمله، وتتمرد على تحكمه في نبضات إحساسك، تقرر الهروب خارج بوتقة الزمن، لتصدم بواقعك حيث اختفت شمس الصداقة خلف غيوم البعاد، فتعود لتجر أذيال اليأس على أعتاب الرجاء، فلا تجد سوى عقرب الساعة الذي يعلو ضجيجه، لا تدري هل يسخر منك أم يرحب بعودتك من جديد في سجن الدقائق والساعات.....

خيالات رجل شرقي ١ مايو ٢٠١٥م:

ومازال الرجل الشرقي يقبع في مخيلته أن المرأة تلوح له

بالاقتراب عندما تتغنى بالرومانسية المسيطرة على خلجات نفسها، وكأنما تتوسل إليه أن يكون بجانبها، ليته يدرك أن الحب حالة قد نحياها من رواية رقيقة أو من صديقة وفية، أو من نجاح وطموح، وليس هو الوحيد مصدرًا لهذا الإحساس الراقي، اهدأ يا آدم قليلاً فلست أنت المقصود دائمًا، فلتنزع غشاوة الغطرسة التي تكبل عينيك، حتى لا تفقد كرامة أشواقك بكيدهن العظيم...

زيف المظهر ٨ مايو ٢٠١٥م:

خلف الشاشة تظهر الروح كاملة بلا زيف المظهر البراق، فتقرأ الشخصيات المختلفة، (الخجولة- المتفاخرة- الجريئة- الواثقة- الضعيفة- الفارغة- المثقفة) وصدق سقراط حين قال: تكلم حتى أراك، فأحيانًا نقابل أناس يترجلون فخرًا بأنفسهم، حتى أننا نحاول أن نفتعل معهم حوارًا لنتجاذب أطراف الحديث، وما إن بدأوا الحوار حتى تتمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعه أو تبتلعك، بل وقد يصل بك الأمر إلى أنه يجعلك تتمنى لو أنك لم تكن متعلمًا من الأساس، وفي المقابل قد نلتقي صدفة بأناس بسطاء لا ينم مظهرهم عن أي ثقافة فكرية، فيتكلم بكل ثقة وتجد لديه إسهاب في كل أنواع العلوم والمعارف، فتأسرك شخصيته، وتجد نفسك تهوى المكوث في جواره، بل وتدعو الله أن يرزقك بأمثاله يوميًا، أما هؤلاء القشور الواهية

التي لا تلبث أن يضيع بريقها بمجرد نطقها ببضع كليمات، نسأل الله أن يباعد بيننا وبينهم كما باعد بين المشرق والمغرب، فإنك إن تحدثت يسيئون فهمك، وإن سكت يظنون فيك ظن السوء، فالحل الأمثل مع أمثالهم هو التجاهل التام إن فرض عليك البقاء في مدارات فكرهم، أو الرحيل إن أمكنك الرحيل.....

وعكة نفسية ٢٨ مايو ٢٠١٥م:

مهما كان عمرنا الزمني بمجرد أن نصاب بوعكة صحية، يظهر الطفل القابع بدواخلنا، يريد الدواء النفسي قبل الجسدي، فننتظر من يربت على وهن مشاعرنا، ومن يحتوي آهات صمتنا، ومن يحنو بصدق خاطر بعيدًا عن زيف العلاقات، لا أحد يؤنس وحدة آلامي، ويبدد جراح خذلانهم، سواك يا أمي..

إرهاق ٨ يونيو ٢٠١٥:

عندما تلوح لنا العلل رغبة في تغيير مجرى يومنا، لا نملك سوى الانصياع لها كرهًا لا طوعًا، فنتجرع آلامها حد الثمالة، نعتزل العالم بأكمله لنروض قلب قسوتها، علها ترأف بحالنا....

ورطة ٢٢ يوليو ٢٠١٥م:

أصبحنا نخشى أن نتورط في علاقة مع أحدهم، فلكل حاجة يتودد لك حتى يوطد العلاقات ثم لا يلبث أن يطالبك بتلبيتها، ويا سوء حظك لو كان الأمر خارجًا عن استطاعتك، سوف توصف بأبشع الصفات، ومهما حاولت أن توضح أو تشرح أو تبرر، فالعقلية التي تتعامل معها ليس لديها أدنى استعداد للاستيعاب، فهي وصولية انتهازية، غير متحملة للمسئولية، دائمًا ما تبحث عن مصباح علاء الدين لتلبية كل تطلعاتها، ليتهم يدركون أن النجاح ليس حليفًا لضربة حظ، أو بتوطيد علاقات مع البشر، فالنجاح يحتاج لأمرين لا ثالث لهما، أولهما: العمل وبذل الجهد، وثانيهما: توطيد العلاقات برب البشر، فالحلم لن يتحقق في النوم، عليك أن تستيقظ كي يصبح حقيقة، وقتها فقط سوف تتفجر ينابيع تميزك، وستضع إكليلاً من الفخر فوق هامات طموحك.

حقوق وواجبات ٢٢ يوليو ٢٠١٥م:

كثيرًا ما يطلبون منا تقديم المساعدات لهم بحق الجيرة أو بحق الصداقة والزمالة والأخوة والعشم ووو... ونستمر في تلك الصدقة الجارية، هذا إلى جانب ما علينا من واجبات والتزامات حتى تخر قوانا، ويصاب جسدنا بالوهن والعلل وقتها لا نجرؤ على

طلب المساعدة من أحدهم؛ لأننا تربينا على الاعتماد على النفس، وتحمل الآلام مهما أصابنا المرض، وفي إحدى المرات جلست بجواري جدتي، ونصحتني بأن أرفق بنفسي ولا أكلفها فوق طاقتها وقالت لي: مساعدة الناس تكون بقدر استطاعتك وفي نطاق لا ضرر ولا ضرار، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقالت لي حكمة لن أنساها ما حييت: «من لا يستحي منك لا تستحي منه» وعندما أمعنت التفكير في حديثها وجدت أن معها كل الحق، فهم يطلبون بالباطل ما لا يستحقون فكيف لنا أن نصمت ونحن على حق....

كيف تسعدين زوجك؟ ١٧ سبتمبر ٢٠١٥م:

أثناء قيادتها لمركبتها على عجل وقت خروجها من عملها- فقد اعتادت أن تسير وتيرة حياتها على عجل، من استذكارها لدروس أولادها مع أدائها لبعض المهمات الإدارية الخاصة بعملها هذا إلى جانب أعمال الطبخ والتنظيف التي لا تنتهي، فأصبحت ٢٤ ساعة باليوم لا تكفيها لأداء مسئولياتها المنوطة بها- استفزتها إحدى المذيعات بعنوان برنامجها الإذاعي» كيف تسعدين زوجك» وأخذت تملي الإرشادات والنصائح عن كيفية تفاني الزوجة في بيتها من أجل زوجها.

انتابتها ضحكات واحدة تلو الأخرى، لم تقو على السيطرة على هجمات الأفكار التي احتلت مساحات رؤيتها، فأخذت تتذكر

مهرجان الاستذكار اليومي الذي تهدر معظم طاقتها فيه بعد عودتها من عملها، والذي يشاركها فيه زوجها بقوله أن عليها أن تأخذ أولادها وتدخل غرفة وتغلق بابها حتى يتسنى له أن يستريح من عناء يومه، حيث تقضي وقت القيلولة في بناء مستقبل فلذات أكبادها، وما إن تنتهي من هذا المهرجان حتى تهرول لإعداد العشاء كي يخلد صغارها للنوم، وهنا يطلب منها زوجها أن تسامر ليلته فهو مازال مستيقظًا، فهل ستتركه وتنام؟

تصارع ما تبقى من قواها وتتناول بعض المشروبات المنبهة، كي تقوى على السمر، فيغلبها الأرق وتذهب في سبات عميق، ثم تستيقظ في منتصف ليلها على بكاء صغيرها فتهرول لتضمد أنين شوقه وتحتويه، تتناوم حتى يصل لأذنها تكبيرات فجر جديد فتبدأ يومًا جديدًا وعملاً جديدًا وتستمر الحياة...

عذرًا سيدتي ألازلتِ تصرين على عنوان برنامجك، كيف تسعدين زوجك؟ إنه يتوجب عليك أن تقدمي برنامجك للمرأة الأوربية التي تحيا بمبدأ Help your self فيقوم الرجل بخدمة نفسه، وربما أصابها بعض الاكتئاب نتيجة لمرض كلبتها، وحينها يتوجب على زوجها أن يراعي كلبتها وزوجته، بل وأطفاله أيضًا، بينما الرجل الشرقي لا قدر الله لو أصاب زوجته مرض عارض، فيتساءل متعجبًا، كيف

ومتى ولماذا؟! ولم هذا الوهن الذي يحتل جسدك؟ وإن وُضع تحت ضغط مسئولية استذكار دروس الأولاد، تكون الساعة أوشكت على القيام، فيبكي الأطفال، ويصرخ الأب وتقوم معركة حامية الوطيس، وربما انتهى الأمر بتركه للبيت، مع همهمات تشير لعدم قدرته على السيطرة على الوضع، ثم يرفع رايته مستسلمًا، ويبحث عن معلم مؤقت حتى تقوى زوجته على الحركة وتعود لتمارس مهامها.

فتصاب الزوجة بالعلل والأمراض والتوتر والقلق، بل وقد يصل الأمر أن الأولاد يتجهون نحو الأب بكل متطلباتهم لا لشيء سوى لأنهم اعتادوا من أمهم على الرفض، لأنها القانون الضابط للممنوع والمسموح، بينما الأب يظهر حنونًا لطيفًا يهرول للمنزل، يحضنهم ويربت على أكتافهم، مع قبلاته الرقيقة ثم يخلد للنوم، تبًا لمجتمع ذكوري يجعل من المرأة أداة لإسعاد الرجل، دون أن يستشعروا الأعباء التي تصارعها كل يوم، والتي تصب في بوتقة إسعاده، فتُرى من سيسعد دقائق عمرها؟!!

دهشة ٢ أكتوبر ٢٠١٥م:

أكثر ما يثير دهشتي هؤلاء الذين يملئون مواقع التواصل برسائل الألم والفراق وسوء الحظ في الحب والحياة، فيصيبنا الشجن نتخيل أن مصابهم جلل، ثم ما نلبث أن نجدهم حديثي العهد بالعقد الثاني

من العمر، فينتابنا الضحك المفرط بلا توقف، عن أي آلام يتحدثون وعن أي حب يستصرخون؟! هل بدأوا حكايا الحب وخذلتهم قبل الفطام؟ رفقًا بأنفسكم، فالأيام قادمة ولكل حدث حديث، فلا تستنزفوا براءة مشاعركم، ولا تغتالوا طفولة رقتكم، كي تحيوا شعورًا لم يحن، وتوقظوا قلبًا لم ينبض إلا فضولاً، ولم ينضج فكرًا، لا تعبثوا بأحاسيس سجينة بين ضلعي القدر، اهتموا برسم خطوات المستقبل فوق غيوم المستحيل، فالإنسان إما أن يكون أو لن يكون في عالم لا يحتاج لمزيد من النسخ البشرية، فلا بقاء إلا للتميز.

انتظار ٣ ديسمبر ٢٠١٥م:

انتظرته كثيرًا خلف ذلك اليأس الموصد، والآلام لا ترأف لحال ضعفها، أخذت تتجرع الصبر حتى فاض الكيل، لملمت ما تبقى من أمل واستعدت للرحيل، فإذا بجليد الانتظار يذوب وتستجمع قواها المتهالكة كي تراه، وأخيرًا يسمح لها بالدخول، وإذا به منهك القوى، لا يبالي بما تعانيه، رمقها بنظرة غير واضحة المعالم تنم عن شخصية فوضوية الفكر، ساذجة الأفعال رثة الهيئة، تلفظ على كسل، مم تعانين؟

أجابت صامتة، بعد أن التقطت نفسًا عميقًا: «قبل أن أراك كانت تفتك بي الكثير من العلل أما الآن فأنت كل معاناتي»، قفزت على أهبة الاستعداد للذوبان بين تلك الأجساد المرابطة خلف بابه

كي تنال شرف المكوث بين يديه، لم تكن تدري أين تسير وهل تبحث عن غيره؟ لكنها أيقنت أنه كان سببًا في تلاشي ما تعانيه، خوفًا من أن يطبق عليها هلامية شخصيته، وهنا لحقتها الممرضة متسائلة لم تركتي الطبيب دون التلفظ ببنت شفاه؟! أجابتها بيأس: لأنه بحاجة لمن يطبب فوضوية ذاته....

الرجل الشرقي ٢٣ يناير ٢٠١٦م

يُخطئ الرجل الشرقي عندما يتخيل أن العقد المبرم في الزواج يتيح له فرصة أن يسيطر على تلابيب قلب وفكر زوجته، ومن ثم يخطو كل خطواته دون الرجوع إليها، معللاً ذلك أنها تثق به وأن تلك الثقة تمنحه كافة الحقوق لخوض مسيرة الحياة بفكره الذي قد يخطئ ويصيب، بل وقد يعتبر تدخل المرأة في مشاريع فكره أو أحلام طموحاته إنقاصًا لرجولته.

يريد منها أن تصبح دُمية يحركها كيفما يشاء ووقتما يشاء، فالمرأة لا يجب أن تكون سوى جميلة فقط، أما الرجل فهو المخطط والمدبر والآمر والناهي، دون أي اعتبارات لعقليتها ونضوج فكرها، فالتربية المستبدة التي غُرست في دواخله حتى أصبح يافعًا-للأسف من نساء أنصاف متعلمات كل حلمها بالدنيا رجل- تُردد في أذنه دائمًا قوامة الرجل، ليته يقرأ كتاب الله ليتأكد من مفهوم القوامة القائم

على التقوى والإنفاق، فما ذنبها أن تستيقظ ما بين عشية وضحاها لتجني وبال أفكاره الزائفة وخيال طموحات ليس لها صلة بالواقع.

فإن كانت منحتك زمام قلب ثقتها وائتمنتك على حياة عمرها، فهذا لا يعني أن بإمكانك أن تمحو شخصية روحها ومبادئ رأيها وحياة تطلعاتها التي اعتنقتهم وآمنت بهم قبل أن تلقاك بسنين طوال، والتي أرهقت بهم والديها حتى يصلا بها لهذا المستوى الأكاديمي والفكري والنفسي، فقد ضاع عمرهما بين أمل ورجاء حتى شاءت الأقدار أن تلتقيك، فتأتي أنت وبكل بساطة كي تمحو ما خطه زمان جهدها على جبين مستقبلها.

عذرًا يا آدم عبثًا حاولت وعبثًا ستحاول وستذهب كل تخطيطاتك سدًا، فهي تحبك شيء والتنازل عن شخصية عمرها شيء آخر، وما بين هذا وذاك ستكون بين فكي الرحى بالقرب والبعاد حتى تضع الحياة أوزارها، فتقبلها كما هي بكل ما يسكن أغوار فكرها، أو لا تلم إلا نفسك....

لاتحاولوا إسعادهم بالبعاد ٢٨ مارس ٢٠١٦م:

أكثر ما يثير شفقتي هؤلاء الذين يضعون نُصب أعينهم هدفًا واحدًا يسيطر على فكرهم، ولأجله يضحون بكل ما هو غالٍ، نعم

يا سادة إنهم عبيد المال، يتركون فلذات أكبادهم لأجله، ويقضون كامل عمرهم بحثًا عنه، ولا يكتفون بما رزقهم الله بل يسعون لجلب المزيد، يهمل زوجته لأجل المال، ويعق والديه في غمرة إرهاقه وسعيه خلف المال، ولا يتابع أولاده سلوكيًا وأكاديميًا لأنه ليس لديه وقت كي يشغل فكره بمثل هذه التفاهات، وعندما تحاول أن تستجدي حضوره أو تناشد أبوته بالبقاء، يرمقها بنظرة سخرية، أنها لا تدرك سرعة الحياة وأن البقاء للأغنى، وأن بعاده عنها لا لسبب سوى لأجلها، ورغبة في إسعاد أولادها، ويستثمر حياته في وهم الثراء، وتتوالى المفارقات، وتمر الثواني والساعات في سباق الحياة، ويشيب وتشيب عطاياه، ويفلت زمام الأولاد واحدًا تلو الأخر، ويدق أنين الرحيل، ولا يبقى له ذكرى، فعندما تسأل أولاده عنه، لا يتذكرون شيئًا سوى أنه كان دائمًا في حالة غير متاح، ينفقون ما تبقى لهم من ذكريات كانت تجمعهم به على قارعة الأيام، ويعلقون صورته في آخر زاوية الحنين، وعبثًا يحاولون الاسترسال في وصفه بأي شيء حين يلح عليهم أولادهم بالسؤال عن طفولتهم، فلا تطاوعهم ألسنتهم باتهام آبائهم بالجفاء ولا تقوى أفئدتهم على تزييف واقع كان يؤلمهم، رفقًا بأنفسكم فالعمر يفنى والمال لا يدوم ولن يتبقى سوى ذكراكم في مخيلة من تحبون، فلا تحرموهم من مخزون حبكّم الذي سيمدهم بطاقة الولاء والدعاء لكم.

اغتيال ٢٢ أبريل ٢٠١٦م:

يغتالون رقة مشاعر إحساسنا بلكمات كلماتهم الجوفاء، ثم يتجاهلون ما قدمت ألسنتهم من آلام تهمش كل علاقة تربطنا بهم، لكننا لا نبخسهم بسوء ظننا، فربما غلظة قلوبهم حالت دون استيعابهم لما يرمون به الخلق من جراح أسهمهم عمدًا دون مبالاة.

يقتربون حد الاختناق للحفاظ على نهر مصالحهم، أنفاسهم تزيد إرهاقنا، وأجسادهم المتراصة تصر على الحوار، نقاوم ما تبقى ونجبر بعض أعضائنا على التكيف وإكمال بغضاء حديثهم في أضيق حدود الألم، حفاظًا على كرامة كبريائنا من أن يلتمسوا وهن روح فطرتنا، إلا أن عيون قلوبنا تأبى أن تلتقيهم، فيصبح الوقت معهم جبلاً لا يتزحزح وودت أفئدتنا لو دكت أوصال علاقتنا بهم، يدركون متأخرًا سوء أفعالهم غير المبررة، فيستصرخون فينا رقتنا المعهودة، ليجدوها قد رحلت، فلا يجبرون كسرًا طال عليه الأمد...

لحظات ٢٧ أبريل ٢٠١٦م:

تمر بنا لحظات ما بين النوم واليقظة نظل فيها بلا حراك، لا نفعل شيئًا سوى زحام من الأفكار تفرض نفسها عليك وتسد كل الطرقات أمامك، تعزلك عن ضجيج أحلامك، وتقلل من سماوات

طموحك، لا تدري كيف تفر من براثن أسرها؟؟ تجد نفسك تستلقي بين أنامل سحرها، فيزداد وهن إحساسك حيال تسلطها، تتساءل أين عزيمة إرادتي؟ وكيف لي أن أهوى هباء أنسها، وفرط حبها!! وتستمر في عزف موسيقى القرب منها، فتظل بلا سقف ولا قاع، ولا مأوى.

لا تجد جوابًا شافيًا من سقمها، حتى تمل بقاءها بجوارك، وتأبى رفقتك، فتفلت من حيز وجودك، فتنفرج أسارير نشاطك وتعود لسالف عهدك، وتستمر الحياة.....

هل الحب تشابه أم اختلاف؟ ٢٩ أبريل ٢٠١٦م

أدارت مؤشر المذياع لتختلج بعالمه غير الواقعي، علّه يوقف نزف أفكارها التي لا تقوى على كبح جماحها، وإذا بأغاني الفراق واللوعة والحب تزيد فكرها توهجًا، فطفقت نفسها تلح عليها بالسؤال: هل الحب تشابه أم اختلاف؟

صمتت برهة، ثم دار بخلدها ما قيل عنه قديمًا ابحث عن نصفك الأخر، والنصف الأخر مكمل، ولكنه لا يطابق الأصل، إذن الحب تكامل بين طرفين يبحث كل منهما عن متممه، والتكامل يعني القدرة على مواجهة الحياة بكل متناقضاتها بفكر نير متنوع، قادر على مجابهة كل الظروف، ثم سرعان ما احتجت مشاعري، لا بل الحب

تشابه، فالإنسان ينتشي فرحًا بمن يحاكيه شكلاً ونفسًا وأحلامًا وطموحًا، وكأنه توأمه، وبقدر التطابق تكون السعادة، ثم إن التشابه لا يجلب المشاكل بين الزوجين، فيسيران في تجاه واحد قلبًا وفكرًا ووجدانًا، فما يسعدها يسعده، وما يثير آلامها يشقيه.... ولما أرهقها الجدال قررت أن تغلق المذياع وتترك شتات الأمر، لتثبت لها الأيام ما كانت تجهله، ويأتيها بالأنباء ما لم تزد.

عرض الدنيا ٣٠ أبريل ٢٠١٦:

يشترون عرض الحياة الدنيا بزيف نفاقهم ليستولوا على ما يرمون إليه، ويتسولوا الصداقات مع من لديهم المصلحة، يتأرجحون على حافة الغيبة ليقللوا من شأن ذوي الهمم الذين يعملون ولا يبالون بهم، فهم أشد عدواة لهم؛ لأنهم لا يملكون إيجابية طاقتهم المنتجة، يريدون الوصول لأي شيء ولكل شيء دون أدنى جهد، هم حقًا وباء وبلاء ولن يرتفع شأن أي مؤسسة ابتليت بأمثال هؤلاء...

مجرد أمنيات ١ مايو ٢٠١٦:

ليس لي أمنيات هذا المساء سوى أن أخلد للنوم دون أن أبتلع مرارة شتات المسلمين، واستضعاف أمرهم في بقاع الأرض المختلفة، دون أن تغصني دموع طفلة فقدت أهلها، وباتت تتوسل لهم أن يلبوا نداء قدرها، دون أن أغمض ضميري على أشلاء طفل ممزقة تتوعدني

ببث شكوى الخذلان للّه العلي القدير، فكل شيء أصبح يدعو للرحيل، أي حياة تلك التي نحياها، لقد سئمنا تلك الهمجية والأنانية وحب المصلحة التي لأجلها تراق الدماء وتزهق الأنفس، وتباد مدن بأكملها، أي مبادئ تلك التي كنا نتغنى بها منذ طفولتنا!! وأي عروبة تلك التي علمتمونا أن نفتخر بها!! ألا تبت أيدي المتخاذلين في نصرة المستضعفين في كل بلاد المسلمين...

نحن من نصنع آلامنا!! ٧ مايو ٢٠١٦:

آلامنا نحن من نشارك في صنعها، عندما نعطي بعض الناس حيزًا أكثر مما يستحقون، عندما نهديهم ابتسامة قلوبنا، ونقاء سريرتنا، عندما نمنحهم حق المكوث في دواخل أعماقنا، والعبث بمكنونات أنفسنا، عندما ننتظر منهم أن يشعروا بحال احتياجنا لهم، بكل يسر نعطيهم زمام حياة براءتنا، ثم نطالبهم بألا يسيطروا على خلجات مشاعرنا، لكي نحمي أنفسنا من أزمات الإحباط، علينا أن نكون حريصين في نمط علاقتنا مع القريب قبل البعيد؛ لأن البعيد لن ينال من عدائه سوى قشور بغض، بينما القريب لو أراد لأوجع كل خلايا إحساسنا حد الاختناق...

فرض عين ٧ مايو ٢٠١٦:

وليس هناك أسوأ ممن لا يستحي منك، يفرض نفسه عليك فرض عين، يعاقبك على إهمالك في حق نفسك، يوقظك من أحلام غدك، ويوقف طموحات فكرك، ويُسكن الوهن في أرجاء نفسك، ويستمر في الضغط على قوة الإصرار لديك حتى يتأكد من أنك أصبحت تعاني منه ليل نهار، وقتها ينتابه الشعور بالزهو لأنه ظفر بك، تحاول أن تسترجي قسوة مكوثه أن ترق لحالك وتتركك وشأنك، ولكن لا فائدة، فالقدر قد ثبت وتده في آلام أحشائك، أيها المرض المقيم ارحل فقد سئمت التعايش معك!

عقاب ٧ مايو ٢٠١٦:

قرر أن يعاقبها على ما اقترفت من آثام قرب، فسحب منها حق مشورتها في كل أمور حياتهم، فأصبحت أخباره تصلها من المحيطين، وأخذ يلقي عليها وابلاً من اللوم لأنه يشقى لأجل راحتها، ويشبع نفسها يأسًا كلما التقى بها في محراب الحب، بعثر أحلامها فأضحت حياة شعورها بلا سعادة، ومنعها من أشياء كثيرة كانت تنالها بكل يسر عندما كانت طفلة، تتساءل نفسها، إن كان الاقتراب منه يمحو شخصية فكرها، وإن كان حبها له يصيبها بألم تلو الآخر، وينقص من قدرها أمام نفسها، فلم كان المكوث بين يدي سطوة فكره وتسلط رجولته؟ فإن كان القرب لا يزيدها إلا وجعًا، فألف أهلاً بالبعاد.....

وقاحة جهل ١٢ مايو ٢٠١٦:

ما إن وضعت رأسها على وسادة يومها، حتى تختال آلامها أمام ناصية أفكارها، فتمر الأحداث متلاحقة لا ترأف لحال إرهاقها، تحاول أن تخمد ضجيجها بالتصويب نحو دقائق فرحة داعبت نسيم نفسها، لكن سرعان ما تثب وخزات وقاحة جهلهم التي تجعلها تعيد النظر في تاريخ علاقتها بهم، لتقرر وقف كل التعاملات الروحية معهم، حتى يدمروا كل بؤرات العفن الفكري التي تتوارثها أرواح جوارحهم، فتفوح رائحة السواد الذي يخيم على سنوات حقدهم، لتسدل الستار على صوت وسامة حديثهم، وتمزق كل حب صار يومًا تجاه شراع أفئدتهم المتهالك، لتسكت أنين السعادة في بقعة حضورهم.....

●●●

obeikandl.com

الجزء الثالث
القصص القصيرة

obeikandl.com

obeikandl.com

القصة الأولى صافرة القطار:

كانت تجمعنا صافرة القطار، فكنا نتسابق في الوصول إليه قبل أن يغادر الرصيف، وكان يشاطرني مقعدي في القطار، وكان يقاسمني في هوائي الذي أتنفسه، وليته تكلم وخرج عن صمته وشاركني في الحديث، استمر على هذا الحال عدة أيام يركب القطار ويجلس بجواري دون أن يكلمني كلمة واحدة، وكنت لا أدري هل كان الجلوس محض صدفة أم أنني كنت أبحث عنه كي أجلس بجانبه؟

لقد كان فيه شيء يجذبني لا أدري ما هو لعله صمته أو كبرياؤه، لعلها نظراته الحائرة التي كانت تناشدني أن أجلس بجواره فكنت أجلس برغم ما كان ينتابني من رعشة واضطراب في جسدي لا أدري ما سببها، ولكني كنت أجد نفسي أسرع الخطى لأجلس معه، وكنت أتظاهر أني أقرأ الجريدة برغم أني لم أكن أفهم شيئًا مما أقرؤه.

وذات يوم تأخر القطار عن موعده، ووقفنا في انتظاره، وشعرت أن عيوني تبحث عن عيونه بين العيون، حتى لمحته من بعيد يقترب وكلما كان يخطو خطوة باتجاهي كانت السعادة تغمرني لأنه سيمر بجانبي وسأستنشق عطره الذي اشتقت إليه، ولكنه هذه المرة لم يمر ويتركني بل اقترب مني وقتل صمته، فلم أكد أصدق نفسي عندما بادر بالكلام وقال: هل يمكن أن أسألك سؤالاً؟

فقلت له: تفضل.

– ما اسمك؟

– اسمي أنا؟

– نعم، اسمك أنتِ.

لقد تبعثرت الكلمات على شفتي حتى أني عجزت أن أجيب عن سؤال كنت أتقن الإجابة عليه عندما كان عمري ثلاث سنوات، نعم لقد درات الأفكار برأسي، والفرحة أنستني أن أجيب على السؤال.

- ماذا بكِ؟ هل نسيت اسمك؟

فضحكت واستجمعت أفكاري ونظمتها وقلت له: لا طبعًا، اسمي أحلام.

- أحلام، ما أجمل أن تصير الأحلام حقيقة!

وابتسم وابتسمت وقال: أحلام هل تعرفين اسمي؟

فقلت: نعم، ثم تلجلجت وقلت: لا لا.

- أنا اسمي خالد، طالب بالفرقة الرابعة بكلية التجارة، وأنتِ بأي جامعة تدرسين؟

- أنا طالبة بجامعة عين شمس بالفرقة الثانية بكلية الآداب.

- كنت أجلس بجوارك كل يوم، وكلما أوشكت أن أكلمك لاحظت أنك منهمكة بالقراءة، هل تحبين القراءة؟

- نعم أحبها، ولكن أحيانًا يلجأ الإنسان للقراءة كحيلة للهروب من موقف معين أو شخص معين.

- وممن كنتِ تهربين؟ هل كنتِ تهربين مني أنا؟

- لا، ولكن ربما كان ذلك نوعًا من الحياء أو الخجل.

- هل تشعرين بما أشعر به؟

- وما الذي تشعر به؟

- أشعر أني بحاجة أن تجلسي بمقعدي ولا تفارقيه طوال العمر.

- ولكن المقعد ليس لي فقط، إنه متاح لأي فتاة تريد أن تجلس به.

- لكني سأجعله لكِ وحدك، فوعد مني إليك ألا تجلس غيرك فيه.

obeikandl.com

ومنذ ذلك الوقت صرنا لا نفترق لحظة واحدة وأصبح كمجرى الروح من الجسد، لا يفارقني خياله في نومي أو يقظتي، وكنت أنتظر شروق الشمس؛ لأنها تعني يومًا جديدًا يقربني منه، وكنت أتوق لصافرة القطار؛ لأنها تجمعني به في مقعد حبنا الذي لو كان ينطق لشهد على أروع وأنبل قصة حب.

ومرت سنة كاملة وأنا وخالد نتقابل يوميًا وكانت سنة لا تحسب من عمري، وجاءت امتحانات آخر العام، وحزنت كثيرًا لأنها تعني قدوم أجازة آخر العام التي ستحرمني من شروق الشمس على أرض حبي، وأخذت أبكي وأخذ يواسيني ويقول لي: لا تقلقي لن أبعد عنك، ولن أنساك مهما طال الوقت ومهما بعدت المسافات بيننا، فسهل على الإنسان أن ينسى نفسه، ولكن يصعب عليه أن ينسى نفسًا سكنت نفسه، وأنتِ سكنتي قلبي ونفسي وكل حواسي، وإن شاء الله من بداية العام الدراسي الجديد سأكون معك يومًا بيوم حتى وإن كنت تخرجت من الجامعة إلا أن قلبي مازال سجين أسوار الجامعة.

ومنذ ذلك الوقت واختفى خالد وأصبح ذكرى وأضحى اسمه على غير مسمى، رحل خالد وأخذ معه فرحتي، وأخذ معه ثقتي بالناس، وأصابتني حالة من اليأس والاكتئاب، والمشكلة أنه برغم كل هذا، وبرغم بعده عني دون أي اعتذار إلا أن عيوني لازالت تبحث عن عيونه بين العيون إلا أن جفوني ترفض أن تنام دون أن تحلم به،

وأضحى شريط حبي يمر أمامي، وكأنه حقيقة قائمة وليس مجرد وهم خيال، فكنت أتذكر صوته وصمته وضحكته وهمسته ونظرته، وكل ما فيه كان يطاردني ليل نهار وكأنه أقسم ألا يجعلني أهنأ بيوم من بعده.

والكل بدأ يسألني أين ابتسامتك التي كانت لا تفارق شفاهك؟ وكنت أجيب: ذهبت مع غروب الشمس، وضاعت مع ظلمات الليل، وفي يوم من الأيام جاء أبي وأخبرني أن هناك شاب تقدم لخطبتي وأنه يرى أنه مناسب، ولكني رفضت المبدأ كله متعللة أني في آخر سنة دراسية وأنه يتوجب عليَّ أن أركز في دراستي حتى أستطيع أن أتخرج وأحصل على تقدير لأحقق أحلامي وطموحاتي.

ولكن أبي أصر على أن أمنح نفسي فرصة رؤيته ولو لمرة واحدة، وأردت أن أقنع أبي برأيي، فقررت أن أقابل ذلك الشخص حتى أظهر ما فيه من عيوب وأهرب من هذه الزيجة، وعندما قابلته وجدت أنه يشبه خالد، ولا أدري هل كان حقًا يشبه خالد؟! أم أن خالد سيطر على كل ما فيَّ وأصبحت أدمنه وأستنشق عطره حتى وإن غاب عني؟؟

شعرت أني أنجرف إليه وفوجئت أني أرتبط به يومًا بعد يوم، وتم إعلان خطبتي أمام الأهل والأقارب، وتم تحديد موعد الزواج بمجرد إنهاء الامتحانات، وجاءت الامتحانات وأنا كل يوم أكتشف في خطيبي

مميزات جديدة من رقة وحب ومحاولة إرضائي بكل السبل، لدرجة أنني كنت لا أعرف ماذا أفعل له؟ مقابل كل ما يفعله معي، ولكني كنت أتساءل هل أنا أحبه لروعة شخصيته وجاذبيتها؟ أم أنني أحببته لأنه يشبه خالد؟ وفي يوم من الأيام كنت أنتظر القطار كعادتي، وأنتظر صافرته التي كانت تؤجج الأشجان في أعماق فؤداي، حدثت المعجزة التي لم أكن أتوقعها لقد رأت عيناي خالد، هل هو خالد؟

أم أن عيوني أضحت تخدعني، كما خدعني خالد من قبل، واقترب مني إنه فعلاً خالد، وقال: كيف حالك يا أحلام؟

قلت له: أحلام أصبحت كل حياتها أحلامًا غير قابلة للتحقيق.

فقال: أحلام لقد اشتغلت في محافظة أخرى، واضطررت للإقامة فيها حتى أنظم حياتي وأؤمن مستقبلي من أجلك أنتِ يا أحلام.

فضحكت وقلت: من أجلي أنا، لقد تركت مقعدك فارغًا برغم أنك وعدتني، وجاء غيرك وجلس مكانك.

فقال: ولكني أحبك ومستعد لأن أتزوجك اليوم قبل الغد.

فقلت: لقد تركتني أسيرة لجراحي وآلامي ولم تفكر في حالي ولم أخطر لك على بال لمدة عام كامل، أين كنت يا خالد؟

فقال: كنت أجهز نفسي لكي أتقدم وأطلب الزواج منك وأنا مستعد لكل إمكانيات الزواج الآن.

فقلت: خالد الآن عليَّ أن أختار بين رجل هو خطيبي وهو رهن إشارة روحي، يخاف عليَّ من نسمة الهواء أن تلمس خصلات شعري فتجرحني، وبين رجل آخر هو أنت تركني وأخلف وعده متعللاً أنه تركني من أجلي أنا، ولم يفكر في حالي وكيف كانت أيامي من بعده، وبرغم هذا فأنا أحببت خطيبي لأنه يشبهك أنت، والآن تطلب مني أن أعاقبه على حبه لي وأن أتخلى عنه وأجرحه من أجلك أنت وقد تركتني بدون سابق إنذار من أجل البحث عن المال أو الوظيفة أو أشياء لا قيمة لها عندي، فكنوز الدنيا كلها لا تعوضني عن يوم واحد قضيته في بؤس وشقاء وحزن وترقب لوصولك مع كل صافرة قطار، حتى فقدت الأمل في رجوعك، وأضحت صافرة القطار لا تهز كياني كما كانت تفعل من قبل، وكما فقدت صافرة القطار تأثيرها في نفسي، فقدتَ أنتَ أيضًا تأثيرك في نفسي، فأمست أحلامي بلا خالد بعد أن كانت جفوني لا تنام بدون عطر خالد، فحتى وإن كنت أحبك إلا أن كابوس فراقك سيظل يطاردني، ولن أهنأ يومًا بقربك لأني فقدت الأمان ببعدك، فاعذرني يا خالد لأن حبك لم يعد بقلبي خالد.

●●●

القصة الثانية الأرواح تلتقي:

كنتُ مُولعة بقراءة الشعر، وكنتُ أتصفح الإنترنت لقراءة الأشعار التي تأخذني إلى عالم من الخيال أحلق في سمائه وأنسى معه كل دنيتي وكل آلامي، وذات مرة قرأت شعرًا أحسست أنه لمس أعماق فؤادي، فقد حركت حروف كلماته كل سكناتي، فكم تمنيت أن أقابل بحياتي إنسانًا يمتلك مثل هذه الرقة، ومثل هذه المشاعر الفياضة التي تمحو كل عناء.

فجأة وأنا أقلب صفحات الإنترنت وجدت البريد الإلكتروني لكاتب هذا الشعر، وسعدت به كثيرًا، ولكن هذا البريد لا ينم عن شخصية صاحبه فهل هو رجل؟ أم امرأة فبادرتني نفسي بالسؤال ولمَ تهتمين بكونه رجلاً أو امرأة، المهم أنه أو أنها إنسان يمتلك رقة لا حدود لها، ثم فكرت قليلاً وتأملت في اسم البريد فقلت هذا البريد ربما لامرأة وليس رجلاً، ولكن أيًا كان لرجل أو امرأة المهم أني وجدت إنسانة غير عادية، فقررت التواصل معها، فأرسلت لها رسالة أهنئها بشعرها، وأطلب منها مزيدًا من التواصل، ولا أدري لماذا عاملتها على أنها امرأة لعل السبب اسمها في البريد الإلكتروني، أو رقة أشعارها التي كتبتها وتحولت إلى مدمنة لهذه الأشعار فلا تستيطع عيوني أن ترى النوم بدونها.

وأخيرًا جاء الرد بعد طول انتظار، نعم لقد وجدت رسالة طالما حلمت بها من شاعرة وضعت يدها على مواطن ضعفي وأيقظت كلماتها خفقان قلبي، فأسرعت بالرد على رسالتها وشكرتها على قبولها لإضافتي، وتمنيت لو أقابلها على البريد الإلكتروني لأنال شرف التحدث معها مباشرة، وبالفعل تحققت أمنيتي حيث إنني فتحت الماسنجر ووجدتها، فأسرعت بالكلام معها خوفًا من خروجها دون أن تفطن إلى وجودي، فقلت لها: مرحبًا بالشاعرة التي هزت قلوب قرائها.

- ومن أخبركِ أني شاعرة؟ ولما لا أكون شاعرًا؟
- هذه الرقة حتمًا يمتلكها قلب امرأة.
- وهل الرجل لا يمتلك الرقة؟
- بلى... يمتلكها ولكن إحساسي أوحى لي أنكِ امرأة.
- إن إحساسك قد خانك في هذه المرة.
- هل معنى كلامك أنك رجل؟
- نعم أنا الشاعر محمد باسل.

ويالا اضطرابي حينما سمعت هذا الكلام، أكل هذه المشاعر يمتلكها قلب رجل؟ وكم تخيلت أن كل الأشعار التي قرأتها، وكأنها كانت قد كتبت فيَّ، وكم كنت سعيدة لأن الشاعرة أضحت شاعرًا، ولا أدري إلام كانت تهفو نفسي؟

وما الذي كنت أرتقبه من هذا الشاعر الذي كنت معجبة به عندما تخيلت أنه امرأة، والذي ذوبني إحساس فطرته، عندما أدركت أنه رجل، وعندما اقتربت منه وتعرفت على شخصيته وجدت أن هذا الشعر ما هو إلا نقطة من فيض بحر مليئ بالنضج والاتزان.

فتمنيت أن يمنحني دهرًا كي أسكن أعماقه، ولكن هل مثل هذا الشاعر يقبل أن يلبي نداء خيالاتي؟ وهو لديه الكثير من المعجبات حتمًا، فكم بهرتني هذه الشخصية؟؟ وكم اشتقت لأن أراه ولكن حياء خجلي منعني من أن أعلن عن رغبتي برؤيته، وأيضًا هو ظل صامتًا ولم يطلب مني أن يراني.

جاء اليوم الذي خرج عن صمته، وقال لي: هل يمكنني أن أراك؟ وكم كنت سعيدة جدًا بهذا الطلب، ولكني لم أظهر لهفتي عليه حفاظًا على أنوثة كبريائي، وكنت أخشى أن يكون قلبي قد أخبره بما أخفيه من شوق عارم يجيش بصدري، وتنطق به كل حواسي.

اتفقنا أن نتقابل بمكان عمله بالجريدة في الصباح الساعة التاسعة، ويا لها من ليلة لم يزرني فيها الوسن، فكلما أغمضت عيناي كلما فتحتهما مسرعة بالنظر إلى الساعة، لقد كنت أخشى أن يغتال الوقت فرحتي، ويضيع مني الحلم الذي أرنو إليه، فطوال الليل وأنا أترقب الموعد، ولو كان الأمر بيدي لقمت بقيادة عجلة الزمان، وحركت تلك العقارب الصماء، وأوقفتها على التاسعة.

وأخيرًا جاءت الساعة التاسعة بعد طول انتظار، وبالفعل وصلت إلى المكتب قبل الموعد المحدد، ولكن حرصًا على هيبة أنوثتي توقفت إلى أن سمعت دقات الساعة التاسعة، ودخلت المكتب الذي كان يكتظ بالكثير من الرجال تُرى من يكون من هؤلاء؟ ولم أشعر إلا وأنا أتجه نحو رجل كان في ركن منزوٍ، وسألته: لو سمحت هل تعلم أين الشاعر محمد باسل؟ فرد ضاحكًا: هل تريدين محمد باسل؟

- نعم أريده، ما الذي يضحكك؟
- أنا هو، ولكن كيف عرفتِني؟
- يا سيدي الأرواح تلتقي، وأنا لا أدري كيف عرفته.
- حقًا معكِ حق، هل تصدقيني لو أخبرتك أني أشعر وكأني أعرفك من سنين، وأني أتخيل، وكأن من حقي أن أمسك يدك وأمشي بكِ في كل مكان، هل تسمحين لي أن أصافحك؟

- ابتسمت خجلاً، وقلت: لماذا؟

- لا أدري ولكني أتمنى ذلك؟

مد يده وصافحني، ويا ليته لم يصافحني، فقد شعرت وكأن جسدي سرت به أنفاس الاشتياق، ووددت ألا تفارقني يده، فكم كانت دافئة الخطى كأنفاس شعره، وكم أثارت كل ما بي من سكون، وكم تمنيت لو احتضن كفه كفي العمر كله، ولم أصدق قطرات كلماته التي انسابت على مسامع فؤادي، حين قال لي: ما رأيك لو تتعانق قلوبنا، كما تعانقت أيدينا فقلت له: ماذا تقصد؟

- أقصد أنك أرق من رأت عيني.

ويالا وقع هذه الكلمات التي سلبتني من نفسي، لقد جعلتني أذوب بين حنايا أضلع أشواقه، ومنذ ذلك اليوم تعانقت كل حواسنا، وعشنا ننهل من حنين القرب الذي لا ينضب، فحمدًا لله الذي أضاء حياتي المظلمة بنور الوفاء، الذي يستحيل أن أتنازل عنه، مادام بين أضلعي خفقان حُبّ.

●●●

القصة الثالثة امْرَأةٌ لِيومٍ وَاحدٍ فَقَط:

أدمنتُ العمل وأولعتُ بالدراسة، أصحابي هم حاسوبي، وكتابي، وقلمي، لا أتذكرُ آخر مرة خلدتْ نفسي للتنزه، ربما منذ سنوات، أخذتُ أفتشُ في كتاب عمري، وأقلبُ صفحاته أريدُ فهْم مغزى حياتي، لماذا أنا لا أشبه النساء؟؟

أهوى الأناقة لكني لا أضيع وقتي في «المولات»، وفجاج شعابها، أحبُ الذهب والمجوهرات لكني لا أسعى لاقتنائها كما يفعل النساء إلا بعد الضرورات، أعشق مناجاة الطبيعة، لكني دائمة الجلوس بين جدران صماء قاتلة، لم ولن تنطق مهما طال الجلوس بين يديها.

قررتُ أن أقومَ بتجربة أن أعيش كمرأة ليوم واحد فقط، اتصلت بصديقتي التي طالما ألحتْ عليَّ بالخروج مع مجموعة من صديقاتها، ستكون تجربة مثيرة علّها تردني إلى ذلك العالم الذي هربت منه منذ سنين.

دخلتُ في مغاراتهن، ومشيتُ على أرصفتهن، قلدتُهن بخطواتهن المترنحة المتثاقلة، التي ما إن تقدمتْ قدمًا للأمام حتى عادتْ للخلف عدة أمتار، كان بداخلي حنين لهذا العالم المتقلب الذي لا يعي أن عقرب الساعة بعد ركضه ستين دقيقة، سيفقدهن ساعة من أعمارهن.

مللتُ جبال الكتب التي اقتحمت حياتي، وأصابتها بالركود، خشيت على نفسي من جنون العلم، الذي قد يصيب العلماء، ظللتُ في ساحة الانتظار أنتظر مجيئهن، مضى الوقت وأنا بثيابي أنظرُ للساعة تارة، وأخرى أحدقُ بالشرفة، وبعد طول انتظار جاء صوت الجرس ليعلنَ قدومهن، ارتديتُ ثيابي المنمقة المتناهية الرقة، السعادة كانت تغمرني، خرجت من بوتقتي التي ظللت فيها حبيسة سنين طوال.

دخلنا «المول» ورميتُ ببصري عبر تلك المحيطات المتناثرة هنا وهناك، من البشر والمحلات، رأيتُ نساء ربما ليسوا من عالمي، أو ربما عالم النساء قد تطور كثيرًا أثناء عزلتي التي كنت سجينتها.

لم أر إلا أكعاب النساء التي أخذتُ في الصعود معها حتى وصلت إلى أماكن لم أدر عنها أنها بجسدي، ولكن من المستحيل ألا أمتلكها؛ لأني من نفس الجنس؛ ولأن التركيب الجيني للنساء واحد، إنما الاختلاف في الحجم فقط.

كانت صديقاتي تمعن النظر بالبضائع، وأنا أحدق بالبشر، لفت نظري فتاة غريبة الأطوار مرت من أمامي، تمشي على عجلٍ، غير مبالية بأي شيء، سقطت منها ورقة، وعندما ناديت عليها: «يا آنسة في حاجة وقعت منك".

ردت قائلة: أنا رجل يا..!!

يا لفاجعتي!! أعجزتُ أن أميز بين الرجل والمرأة؟؟ لكن كيف رجل؟؟ لقد كان شعره يتجاوز رقبته، بل كان يرتدي ما يسمونه «بالإسكيني»، و«بضي» يجسم كل تقاسيم جسده.

فبرغم عزلتي عن عالم النساء إلا أنني أعرف كل ما هو جديد، فقط من باب محو أميتي الموضوية، انقلبت كل الموازين عندي بسبب تلك الفتاة، عذرًا بسبب ذلك الرجل علّه يقرأ القصة ويقاضيني.

استمررتُ بالحملقة بكل المارة، فعيناي لم تغض الطرف، خوفًا من أن يفوتني مشهدًا لم أره من قبل، أخيرًا وصلنا لمحلات الملابس، كان في مدخل المحل، فتيات حسناوات، يرتدين «الميكروجيب»، كما يسمونه، ومعلنات عن نهود تكاد تصل للسماء علوًا، وشعرًا يتمايل مع الريح أينما اتجهت، وابتسامة تجعل إبليس يترك الإغواء؛ لأن ابتسامتهن قمة الغواية، أخذتُ أتساءل هل أنا ببلد أجنبي أم بدولة عربية؟؟

لفتُ رأسي يسارًا، وإذا بالجانب الأخر صفًا من الشباب يرتدون البذل، ورابطة العنق التي تكاد تغلق عليهم كل منافذ الهواء، والشعر المنسدل على أكتافهم، وغمازات تزينُ وجوهم.

ظننتُ أن مهند قد قاموا بعمل نسخة مكررة منه وصفّوها بهذا المحل لجلب الزبائن من المراهقات، خصوصًا بعد ما قيل عن حالات

الطلاق التي شاعت بالشارع العربي- عقب انتشار مسلسلاته- جذبتني صديقتي من يدي، ماذا تفعلين هنا؟؟

- قلتُ لها اتركيني أرى ذلك الجمال الصارخ الذي ينتشر بكل مكان، وصلنا لقسم الملابس النسائية، وانتقيت بعض الملابس التي لم أعرف كيف تُرتدى؟ والتي كانت تحتاج «لكتالوج» يوضح كيفية الارتداء، دخلتُ غرفة القياس؛ لأفكَ طلاسم هذه القطع ليشهد العالم بذكائي.

بالفعل بعد محاولات تمكنتُ من ارتدائها، ووجدت نفسي أرى بالمرآة امرأة لم أعرفها، ولم أفطنْ لوجودها من قبل، فقد كانت تشبه إلى حد كبير تلك الفاتنات اللاتي قابلتهن عند ردهة المحل، وأكملتُ المنظومة بإسدال شعري علّه يسابق الريح ويصرعها.

طفقتُ أضحك أنني مثلهن الآن، إن تقليدهن بالشيء اليسير، فقط وضعتُ ثيابًا بها ممرات على جسد بضّ، فأصبحتُ مثلهن، لكن تساءلت هل بإمكان إحداهن أن تقلدني، فتغطي كامل جسدها في يوم حار من أيام الصيف؟ بالطبع لا، لأن أمثال هؤلاء اعتدن على التكسب بأجسادهن، وكما قال أجدادنا من شبَّ على شيء شابَ عليه.

أخذتُ ما هفت إليه نفسي من ثياب، حتى أرتديه بغرفتي، لكي لا أحرمها من الولوج بهذا العالم الأنثوي، طفقت صديقاتي في قياس الملابس وبدأن يرمين بقعطة بعد الأخرى، مرة يقولنَ أنها غير مناسبة، ومرة أخرى أنها صغيرة القياس، وأنا أنتظر وأنتظر حتى مللتُ الانتظار.

الحمد لله انتهينا من حرب القياسات، واتجهنا إلى قسم العطور، ويا ويلي من المجهول!! دخلت معهن في معركة حامية الوطيس، أخذن يتسابقن، في التعطر بكل أنواع العطور، ولم يفلت من براثنهن إلا ما رحم ربي، ذهبتُ بهدوء، وتفحصت بدقة أسماء العطور باحثة عن عطري المفضل، وما إن وصل ليدي حتى أعلنت ثورتي على الوقت الذي ضاع داخل مغارة لا نهاية لها، وعلى مضض صبّرت نفسي حتى لا تغضب صديقاتي مني، ويعلن عليّ ثورة تطيحُ بعرش صداقتي، كما أطاحت الثورات العربية، بأقوى الرؤساء، وأكثرهم صلابة.

انتهت الصديقات من قسم العطور، واتجهن مباشرة إلى قسم المكياج، والغريب أنني وجدت الشباب هم من يقومون بالترويج لهذا القسم.

في بداية الأمر أصابتني الدهشة، لكن بعد وقت، وجدت أنهم يمتلكون من البراعة ما جعلني أشكُ في كونهم قد استعملوا كل هذه المستحضرات الخاصة بالنساء.

تركتُ صديقاتي واتجهت بزاوية، بها أنواع من «الـ أي شادو» أو ما يسمونه بظل العيون، وأنا أسميه بساحر العيون، كم أحب أن أرى العيون المكتحلة، ويقف ظل العيون حاميًا لجفونها، لا يسمح بمرور أي كائن كان سوى أسهم المحبوب فقط.

وفجأة ظهر أمامي شاب يعرض عليَّ المساعدة في الاختيار، فسألته: أي اختيار؟؟ أجابني: ظل العيون."

ضحكتُ وحدثتُ نفسي: ليته يساعدني في اختيار أشياء أخرى، بدأ الشاب يعرض عليّ أنواعًا وماركات عالمية، وأنا أبحرُ مع حركة يديه عندما كانت تسافر إلى جبهته لترفع عنها هجمات الشعر المتناثر عليها.

اقترب الشاب وأخذ يسألني: أي نوع تفضليه من هذه الأنواع سيدتي؟ لكني لم أعِ كل ما عرض من أنواع، فأجبته: الألماني جيد، فضحكَ، وقال: لكن كل ما عرضته لكِ كانت منتجات فرنسية.

ابتسمتُ خجلاً، فرد قائلاً: أنا أفضل لعيونك هذا النوع؛ لأنه حتمًا سيصيبُ من يراها بالجنون.

قلتُ له: لا داعي يا أخي لكي أجني على الشباب بعيوني، يكفيهم ما هم فيه من جنون الأسعار، والكاسيات العاريات، هناك من يقوم بهذه المهمة بدلاً مني، لكن اسمح لي أن أسألك سؤالاً قد يكون غير لائق.

- أجاب بكل سرور اسألي.

- ألا تجد حرجًا في كونك تروج لمنتجات تجميل نسائية!!

ضحكَ ضحكة مدوية خِلتني حاكيته طرفة، قائلاً: أجمل شيء بالدنيا أن أتعامل مع الجنس الناعم، وأحيطكِ علمًا أن النساء يفضلن ذلك، ألستِ أنتِ من النساء؟

- اسألي نفسك أيهما تفضلين أن يروج لكِ منتجاتك شاب مثلي، أم امرأة مثلكِ؟

- واللّه يا أخي أنا أفضل أن أغادر هذا المكان فورًا.

- ضحك وقال: لمَ الهروب سيدتي؟

- الهروب أفضل وسيلة للدفاع.

تركتُ صديقاتي، وهرولتُ إلى سيارتي، داعيةُ اللّه أن يحفظ كل شباب وبنات المسلمين، دخلتُ غرفتي، أحكمتُ إغلاق بابها، وألقيتُ بثيابي المتصببة عرقًا، احتضنتُ كتبي، قائلة لها: عذرًا لتمردي عليك، فأنتِ من أصابني بالفتور، لكني أيقنتُ الآن أن عالمك بكل ما فيه من ملل، أرحم بكثير من عالم النساء والرجال بكل ما فيه من فتنة وبعد عن اللّه.

●●●

obeikandl.com

القصة الرابعة: صرختٌ في جوف الليل:

كنتُ أهيم بعالم خيالي وكثيرًا ما كنتُ أحلم أني أمطتي حصاني الطائر الذي يجوب بي كل مكان، وكان حصاني يختلف عن أي حصان فهو ساحرٌ لا يسمع من الأصوات إلا الصرخات، وكانت تؤلمه هذه الصرخات فكان يهرول إليّ مسرعًا، يطلب مني أن أوقف صداها بأي شكل وبأي طريقة وخصوصًا في جوف الليل.

وذات مرة أيقظني من النوم وهو يصرخ كيف تنامين والصرخات تملأ كل الأجواء من الأرض للسماء فقلت له: وماذا تريد مني أن أفعل؟ والناس لا يقبلون أن يتدخل أحد بحياتهم، فرد عليّ قائلاً: لن أجعل أحد يراك ولن يفطن أحد إلى وجودك، ولكن ساعديني في إيقاف هذه الصرخات التي تؤلمني وتؤرق نومي، وبالفعل ارتديتُ ثيابي وامتطيتُ حصاني وخرجت من البيت، وتوقف حصاني عند أول صرخة، وأخبرني الصرخة تصدر من هذا البيت.

دخلت البيت ولا أدري كيف، ولكن من الواضح أن حصاني ساحرٌ ماهرٌ ويمتلك قدرات غير عادية، فوجدتُ طفلاً رضيعًا يبكي بحرقةٍ، ولا أحد يسمع صدى صوته.

فدخلتُ وأيقظت أمه كيف لأم أن تنام جفونها ووليدها يئن من الجوع، وإذا بأمه تستيقظ من النوم ولم تتجه إلى رضيعها، ولكنها

قامت مهرولة إلى غرفة الخادمة، وطفقت تُسدد لها لكمات وضربات وأخذت تسبها بأشد ألفاظ السباب.

– كيف لكِ يا خادمة أن تنامي وابني يتضورُ جوعًا؟ وتركت الأم الحنونة ابنها، واستمرت في ضرب الخادمة التي لم يتجاوز عمرها خمسة عشر عامًا، وتطلب منها الأم أن تكون أمًا بديلة لابنها لتنعم هي بالنوم.

ولم أملك نفسي إلا وأنا أوقظ زوجها من النوم لكي يرى المرأة التي تزوجها على حقيقتها، وبالفعل قام زوجها وانهال عليها بالكلام اللاذع، فقال لها: أنتِ لا تستحقين لقب أم يا من تركتِ ابنك لخادمة صغيرة لكي تقوم بإشباع رغبته وسد رمقه من الجوع، وهي نفسها تحتاج لمن يرعاها، فهي لازالت طفلة، وإن كنتِ لا تستطيعين أن تقومي بدور الأم فلماذا أنجبتيه؟

فسكتت الأم ولم تتفوه بكلمةٍ واحدةٍ، ثم حملت الأم ابنها وأطعمته، وخلد الطفل للنوم في حضن أمه.

ثم خرجنا من البيت وكان حصاني سعيدًا جدًا وأخذت علامات السعادة تبدوعلى تقاسيم وجهه ولكن سرعان ما تحولت الابتسامة إلى حزن وعبوس، وأخذ يصرخ أنقذيني هناك شخص يصرخ بمكان قريب من هنا.

وحملني الحصان إلى هذا المكان، ودخلناه وإذا به دار للمسنين وكان فيه عجوز مريض يئن ويبكي من قسوة أبنائه عليه، وأنهم ألقوه في هذه الدار منذ سنوات، ولم يحاول أحد منهم أن يسأل عنه، ليدري إن كان لازال حيًا أو فارق الحياة وكان العجوز يتضرع إلى اللّٰه بقوله: يا رب إن كنت قد عققت والدي في صغري، فارحمني في شيخوختي، ولا ولا تُحملني ما لا تطيق نفسي.

وإذا بي أسأل الحصان الساحر احملني إلى أحد أبناء هذا الرجل فورًا، وبسرعة البرق حملني الحصان إلى ابن هذا الرجل وقمتُ بإيقاظه من نومه، وأخبرته: أن والدك يحتضر وقلبه غاضب عليك، وأسرع الابن وفتح الباب وأسرع إلى الدار، وكان قد ضل الطريق فأخذ يفكر أين مكان الدار؟ واتصل بأخيه وسأله إلى أن وصل إلى الدار، وسمع صوت والده وهو يتضرع إلى اللّٰه أن يرحمه ويميته من هذه الدنيا أو يجعل قلوب أبنائه تميل إليه وترق لحاله.

دخل الابن وحضن أباه وأخذت الدموع تنهمر من عينيه، ويقول له سامحني يا سبب وجودي في هذه الدنيا، وأخذ يقبل يديه وقدميه ويقول: أنا لا أدري كيف يمكن للدنيا أن تلهينا عن أحن قلب، سامحني يا أبي لن أتركك إلا إذا فارقت روحي جسدي.

قام الابن وحزم حقائب والده، وقال له الأب: تمهل يا بني للصباح حتى أتمكن من توديع زملائي رفقاء الدار قبل الرحيل.

لكن الابن أبى أن يتركه ووعده أن يأتي به مرة ثانية لزيارتهم فقط، وليس لمشاركتهم في الدار، وعادت الابتسامة إلى وجه حصاني.

لكن سرعان ما تبددت بصرخة أخرى مدوية ملأت المكان وأصابتني بالهلع، أسرعنا إلى المكان الصادر منه الصرخة، وإذا بشاب يحاول اختطاف فتاة بالرغم عنها، والفتاة تستحلفه بأعز شيء عنده أن يتركها.

وهو يقول لها: إن كنتِ من الصالحات كما تدعين فما الذي جعلك تسيرين بالطرقات في منتصف الليل، فطفقت الفتاة تبكي وتقول له: أنا أعمل ممرضة لأني أنا أكبر إخوتي البنات وأنا أنفق عليهن.

ورد الشاب قائلاً: ولماذا أنتِ حتى الآن بالطريق يا ملاك الرحمة لتداوي قلوب مرضاك!

فردت الفتاة قائلة: اتق الله فيَّ يا أخي فأنا دوامي يتغير فأحيانًا يكون بالليل وأحيانًا يكون بالنهار واليوم دوامي ليلاً.

فصمت الشاب قليلاً ثم قال: ولماذا لم ينتظرك والدك عقب انتهاء عملك ليأخذك بدلاً من أن تتسكعي بالأرصفة كبنات الليل.

obeikandl.com

يا أخي إن والدي قد تُوفي منذ نعومة أظافري وأنا أكابد في هذه الدنيا بمفردي من أجل لقمة العيش، ومن أجل مساعدة أمي على تربية إخوتي، فتخيل يا أخي لو كانت أختك بمثل موقفي، لا ظهر لها ولا سند، لا أخ لها يشد من أزرها، ولا أب يعينها على بلواها، ولا عم يدفع عنها طمع الناس فيها، ولا زوج يحتويها ليجفف دموعها ويخفف معاناتها، فهذه هي حياتي، وهذا هو قدري فماذا أفعل أمام تضاريس القدر؟ وهل أستحق منك أن تعاقبني على ما أنا فيه من ضعف بأن تفقدني كرامتي وإبائي؟

فحقًا كل شيء يهون ويمكن أن أتحمل أي شيء إلا أن أحيا بدون كرامة، فلو حدث ذلك فلا سبيل للحياة، فالموت يكون هو الأمل الوحيد لي، أما أمي وإخوتي فلهن الله لأنه لن يتركهن يَمُتْنَ من الجوع، فهو يرزق الطير في السماء ويرأف بحال النملة في الأرض، فكيف سيغفل عن أطفال صغار لا حول لهم ولا قوة!

هنا بدأ الشاب بالبكاء المطرد وقال لها: أنتِ رمز للصمود والكفاح والعزة والإباء ولن يستطيع أحد أن يخدش كرامتك، فحقًا لم أرَ مثلك بحياتي، بل ويشرفني أن تكوني زوجتي، ولكن أرجو منكِ أن تغفري زلتي، وسأتركك وشأنك.

فقالت يا أخي: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم».

فازداد بكاء الشاب وقال أنا أريد أن أعصم نفسي ولكن ماذا أفعل أمام البطالة؟ فأنا على قدر من العلم، ولكني طرقتُ كل أبواب العمل وكانت موصدة أمامي حتى أصابني اليأس وأوشكتُ على السقوط في براثن الرذيلة، وصدقيني أنا إنسان مهذب، ولم يسبق لي أن حاولت إزعاج أي أنثى، ولكن الإنسان إذا اسودت الدنيا بعينه وبعُد عن ذكر الله تساوى عنده الحلال مع الحرام والخبيث بالطيب، ولكن أحمد الله لأنه أرسل لي ملاكًا لينقذني مما كنتُ فيه من شتات، فاعتبريني أخًا لك إن لم تقبليني زوجًا.

فردت الفتاة قائلة: وأنا أحمد الله أنه بعث لي إنسانًا طيب القلب رأف لحالي ورحم ضعفي، فالآن قد رزقني الله بأخ لي لم تلده أمي، سامحك الله يا أخي وغفر لك ولي.

دُهش حصاني من حال البشر، ولكنه ابتسم ابتسامة لم أرها من قبل على وجهه، ثم ساد صمت رهيب بالمكان.

وفجأة تطرق إلى أسماعنا صوت صراخ واتجهنا فورًا إلى مكان الصراخ وإذا بامرأة تنجب طفلاً بعد أن عاشت عشر سنوات ظلت فيها تدعو الله أن يمن عليها بزينة الحياة الدنيا، وطفق زوجها يبكي ويقول: الحمد لله قد رُزقنا بفلذة كبدنا الذي طالما انتظرناه.

وهنا ازدادت دهشة الحصان وقال لي: عجيب أمركم أيها البشر إذا أصابتكم مصيبة تسارعون بالبكاء، وإذا مَنَّ اللّٰه عليكم بالخير والنعيم أيضًا تنشدون البكاء، وكأنكم أصبحتم تدمنونه ولا تستطيعون العيش بدونه.

فضحكت وقلتُ له: معك حق يا حصاني إن هذا هو حال البشر، ألم تسمع قول الشاعر:

هجم السرور عليَّ حتى أنه

من فرط ما قد سرني أبكاني

يا عين قد أضحى البكا لكِ

عادة تبكين من فرح ومن أحزانِ

عدتُ أنا وحصاني للنوم بعد أن تأكدنا أن كل البشر سعداء، وأنه لا يوجد من يصرخ أو يعاني من شيء يؤرقه.

فجأة شعرت بيد تلمس خصلات شعري وتقول لي: استيقظي يا حنان، ماذا بكِ؟ ماذا تقولين؟ هل تتكلمين وأنتِ نائمة؟ وهنا استيقظت فوجدتها أمي فقبلت يدها وقلتُ لها: هل حقًا كنتُ نائمة؟ قالت: بلا ريب لقد كنتِ نائمة، فقلتُ: ولكن هذا يعني أن حصاني الساحر كان مجرد خيال، فقالت أمي: أي حصان يا ابنتي، فقلتُ: لا عليك يا أمي

إنها أضغاث أحلام، ولكن يا ليته كان حقيقة؛ لأنه لو كان حقيقة لكنتُ بدلتُ حال هذا الكون، ومحوتُ كل ما به من ألم وصراخ وحزن وحلته إلى حب وسعادة وأمان، ولكن الحمد لله على كل حال.

●●●

obeikandl.com

القصة الخامسة:حمـام التوبة والغفران:

كانت تعاني من الأرق وعدم الراحة حتى أنها بدأت تشعر بألم في كل أنحاء جسدها، ربما أجهدت نفسها بالدراسة والعمل من أجل تحقيق أحلامها.

جلست مع صديقتها تبثها تعبها وإرهاقها، وأنها تود أن تأخذ أجازة للاستجمام لتجدد نشاطها، وفجأة أخبرتها صديقتها أنها لديها حل سحري لكل هذا التعب، وهنا تساءلت ميادة: هل عندك حل لكل ما أنا فيه حقًا؟

ولمَ لم تتكلمي يا ميس؟ هيا أخبريني بسرعة.

وهنا بدأت ميس تخبرها عن الحل السحري الذي يزيل كل أوجاع جسدها ويجدد نشاطها، ألا وهو الحمام المغربي.

ميادة: الحمام المغربي، وهل هذا هو الحل؟

فأجابتها ميس قائلة: نعم هو.

أنتِ لم تجربيه ولم تعرفي الكثير عنه، ولكني غدًا سآخذ موعدًا من صاحبة الحمام لتري بنفسك.

وبالفعل أخذت ميس الموعد وذهبت بصحبة ميادة إلى الحمام المغربي الذي كان مكتظًا بالنساء، كل منهن تنتظر دورها.

ودخلت ميادة عندما حان دورها غرفة صغيرة مجاورة لغرفة الحمام، وهنا جاءتها امرأة مفتولة العضلات وقالت لها بصوت أجش: هيا القِ كل ما عليك من ثياب وادخلي هذه الغرفة فالحمام معد لكِ.

هنا صرخت ميادة: لا لا لن أخلع ثيابي، فأنا أستحي.

تعالت ضحكة المرأة الغليظة شبه العارية وقالت لها: ولما أتيتِ إلى هنا إذا كنتِ تستحين، وتركتها وخرجت لتقص على باقي النساء المنتظرات لأدوارهن ما قالته ميادة، فتعالت الضحكات.

شعرت ميادة بالخزي، وأخذت تتوعد صديقتها بالقصاص منها، بعد أن تخرج من هذا الموقف الذي وعدتها بعده بالراحة والاسترخاء.

واضطرت ميادة أن ترضخ لطلبات المرأة حتى لا تسخر منها الأخريات.

خففت من ثيابها، وفتحت الباب الذي طلبت منها المرأة أن تدخله فإذا ببخار ساخن يدخل بعينيها، وفقدت القدرة على الرؤية تمامًا، فأغمضت عينيها وأخذت تتحسس المكان بكلتا يديها، حتى وجدت جدارًا معدًا للجلوس عليه كأنه تابوت مغلق مفروش بطبقة من مفرش بلاستيكي سميك.

كادت أن تصرخ ميادة من لهيب البخار الذي بدأ يزيد حرارة جسدها، وشعرت وكأن الأكسجين بدأ يختفي من المكان، فهُيئ لها

أنها في بداية طريق الموت، وكأنهم ألقوا بها في قبر، وأخذت تستغفر ربها وتتذكر كل من أساءت لهم، وأخطأت بحقهم، وقطعت رحمهم.

طفقت تدعو الله أن يخرجها من هذا القبر لعلها تعمل صالحًا، وسمعت صوت الباب يفتح، وصوت يزأر هل أنتِ مستعدة؟

- فأجابت ميادة: مستعدة لماذا؟ أنا لا أرى شيئًا.

فردت المرأة المتسلطة: وما فائدة الرؤية هنا؟؟ فقط اتركي نفسك لي ولا شأن لكِ بما سأفعل.

وقامت المرأة بدهن جسدها بمادة نفاذة الرائحة، وشديدة الرغوة، وتركتها وخرجت.

كانت ميادة تحسب الوقت وكأن سنين مرت عليها، وهي في هذا الكهف المظلم.

ظلت تستغفر ربها وتدعوه أن ينقذها مما هي فيه، وفجأة دفعت المرأة الباب ثانية، وبدأت في إحكام قبضتها على جسدها النحيل، وطفقت في غسله دون أن تتفوه ببنت شفاه. شعرت ميادة وكأن المرأة تعدها للدفن، وتقوم بتغسيل كل أجزاء جسدها، وتقلبها ذات اليمين وذات الشمال، وهي مسلوبة الإرداة، لا خيار لها.

أخرجت المرأة قفازًا خشنًا وارتدته بكلتا يديها، وبدأت تحك به جسدها، فأخذت ميادة تصرخ من شدة الألم، والمرأة لا تعيرها أي

obeikandl.com

اهتمام، فقد شعرت وكأن أشواكًا تقطع جسدها، وهنا أدركت ميادة أنها ماتت وأن هذا هو العذاب الذي لا مفر منه، وازداد صوت البخار الساخن الذي كان يتوهج وكأن جهنم تقول: هل من مزيد؟؟

همت ميادة على الوقوف للخروج من هذا المكان فقد طفح بها الكيل، حتى لو سخر منها الجميع، فلا يهمها المهم هو نجاتها من الموت الأكيد.

وقامت وغسلت وجهها كي ترى ما تفعله بها هذه المرأة، وهنا قالت لها المرأة: أين ستذهبين؟ ألا ترين ما سقط من جسدك من أوساخ؟

ونظرت ميادة فلم تصدق ما سقط من جسدها من خيوط بنية وأخذت تتساءل كيف؟ وأنا حريصة على تنظيف جسدي بشكل يومي كما أنني أستعمل غسول الجسد بصفة مستمرة.

وهنا ضحكت المرأة ضحكة مدوية تردد صداها في الحمام، وقالت: هكذا تدعي كل النساء أنهن نظيفات وناعمات ولا يتهاون في تنظيف أنفسهن، أما أنا فأعريهن وأظهر حقيقتهن التي لا يقدرن على رؤيتها بأعينهن، تمهلي وسترين المزيد الآن.

سكتت ميادة ولم تتلفظ، وأخذت تنتظر برغم أن القفاز كان يقطع في كل أنحاء جسدها إلى أن فرغت المرأة من التنظيف، وقالت لها الآن سأسكب عليكِ الماء لتري بأم عينك ما خرج من جسدك.

ورأت ميادة الخيوط كانت قد زادت حتى تغير لون أرضية الحمام من اللون الأبيض إلى البني، وهنا صعقت ميادة من الصدمة، وقالت: لقد كان يهيأ لي أني نظيفة الجسد والروح، وإذا كنت بحاجة لأن أنظف جسدي بمثل هذه الطريقة المؤلمة حتى أتخلص من القاذورات اللاصقة، فكيف يمكن لي أن أنظف روحي وأطهرها مما أرتكبه من ذنوب؟؟؟ سواء كانت بإرادتي أو دون قصد.

ومنذ ذلك اليوم قررت ميادة أن تداوم على الحمام المغربي مرة كل أسبوع على الأقل، وأخذت تواسي نفسها كي تتحمل ألم القفاز الذي يشبه الأشواك في وخزاته، وكانت كلما دعكت المرأة جسدها كلما قامت ميادة بالاستغفار، وبتذكر كل من أساءت لهم حتى تطهر روحها مع طهور جسدها، وأصبحت ميادة مع مرور الوقت تستمتع بالحمام المغربي لأنها بدأت تدرك أنه ينظف ظاهرها وباطنها.

فكانت تخرج منه وهي منتعشة وسعيدة لأنها كانت على يقين من أن ذنوبها كانت تُمحا مع كل ألم كان يسحق نعومة جسدها، حتى أنها أضحت تسميه حمام التوبة والغفران.

●●●

القصة السادسة: عُذرًا يَاْ مَنْ كُنْتَ أبِيْ:

«لستَ ابني» نعم قالها أبي أو من كنت أظنه أبي، قالها ولم يرحم طفولة مشاعري، ولم يستوعب حبي له، وتعلق قلبي الغض بكل ركن من أركان بيتنا، وبمنتهى القسوة قال لي: مهما أحسن تربيتك فأنت ابن حرام، كان عمري لم يتجاوز السادسة عشر، أخطأت في حقه عندما طلب مني ألا أتأخر عن الساعة الحادية عشرة، ولكني ضربت بكلامه عرض الحائط وتأخرت.

ليتني لم أتأخر، لأنه قرر أن يعاقبني بأن يمحو كل ما بيني وبينه من علاقة، ويشطب اسمي من سجل حياته، أو بالمعنى الأصح قرر أن يُعلن وفاتي، وكأنني لم أكن بحياته قط، أخذت أتوسل إليه أن يسامحني، ولكنه أبى وقام بطردي بمنتصف الليل وأغلق بابه بوجهي، تخيلت أن عصبيته جعلته يقسو عليَّ، فذهبت لأحد أصدقائي وقضيت ليلتي عنده، وما إن أشرقت الشمس أسرعت الخطى، أخذت أدق الباب بشكل متواصل؛ لأدخل غرفتي، وأنعم بدفء أمي الحنون.

لكن ماذا حدث لا أحد يجيب؟؟؟ وبعد وقت طويل من انتظاري على درج البناية خرج أبي، وفرحت كثيرًا لما رأيته وأخذت أقبل رأسه، ولكنه رفض، وقال لي: أسامة هناك مشوار لابد أن نذهبه سويًا.

فقلت له أي مشوار الآن الساعة الثامنة صباحًا، وأنا لم أذق طعم النوم عند صديقي، فعيناي تأبى النوم إلا بسريري.

رفض أبي.... أخبرني أنه مشوار لا يمكن تأجيله لأن وقته قد حان، بالفعل جرني من يدي، كعادته عندما كنت طفلاً صغيرًا، وقد ارتكبت خطأ، مشيت معه حتى أرضيه لا أكثر، حتى أن النوم سيطر على عيوني، وأنا بسيارته، ربما لأنني شعرت بالراحة والأمان، أوقف سيارته، وأيقظني وإذا بي أجد أبي يجذبني بقوة، ويدخلني دار الأيتام، سألته لماذا نحن هنا يا أبي؟

هل هذا وقت زيارة للدار؟ وأخذت أضحك فالأطفال لازالوا نائمين، لم يعرني أبي أي اهتمام ولم يرد علي ببنت شفاه، دخلنا عند السكرتيرة، وطلب أبي مقابلة مديرة الدار، كل هذا وأنا لازلت في حالة من النعاس.

أذِنت لنا المديرة بالمقابلة، ليُعلن أبي مفاجأة عمري، أو كابوس حياتي، الذي طير النعاس من عيناي، ليس النعاس فقط ولكن كل آمالي وأحلامي أيضًا.

أخذ يحدثها قائلاً: هل تتذكرين منذ خمسة عشر عامًا عندما جئت أنا وزوجتي، نطلب طفلاً نتبناه، حملقت مديرة الدار في وجهه، وقالت: «والله يا أستاذ أنا ما أفتكر شو أكلت بالأمس» وهنا أخرج أبي من حقيبة يده كيسًا بلاستيكيًا مربوطًا بحبل ملفوف عليه بإحكام، وأخذ يفتح هذا الكيس رويدًا رويدًا.

وذهني بدأ يشرد ويجمع الأفكار ويربطها، قال لي: أنت ابن حرام، ثم جرني إلى دار الأيتام، والآن يريد أن يخرج أوراقًا من كيس متبالٍ، وبرغم كل ذلك رفض عقلي تمامًا التصديق على الفكرة التي انتابتني، وفجأة أخرج أبي الأوراق وبدأت المديرة في قراءتها، ثم قالت: نعم تذكرتك، وهل هذا هو أسامة؟

فرد أبي قائلاً: نعم هو، وهذه أمانتكم ردت إليكم، فلم يعد بإمكاني أن أقوّم هذا الولد أو أصلحه، أخذت أستوعب ما يحدث حولي، شعرت بأن زلزالاً أصاب الأرض من حولي، بل أصاب جدران نفسي.

طفقتُ أصرخ: أرجوك يا أبي لا تفعل هذا بي، فوعد مني ألا أعصي لك أمرًا مهما حييت، قل لي أنك تمزح أو حتى تكذب، قل لي أنك ستسجنني بغرفتي، أو حتى تمنع عني الطعام والشراب والمصروف، احرمني من أي شيء، من كل شيء، لكن لا تحرمني من آدميتي، من حياتي، من إخوتي، من أمي، من.....

أطرق أبي: ثم فجأة تحدث بصوتٍ هدم كل حُبّ يكنه قلبي له.

- لست ابني أخبرتك أنك ابن حرام، ألا تستوعب بعد كل ما رأيت وسمعت، والدار أولى بك، فقد منّ الله عليَّ بالبنين والبنات، ولست بحاجة لكلمة بابا تخرج من تلوثها بفساد خلق فطرتك.

توقفت عن التوسل، واستجداء الرحمة والمغفرة، وأيقنت أنه ليس بأبي، لأنه لم يشفق عليَّ ولم يرحم توسلات آلامي.

ضغطت المديرة على زر واستدعت السكرتيرة طالبة منها أن تستدعي رجلين من رجال الأمن، ووجدت أبي يوقع على أوراق تسليمي للدار، أدركت الحقيقة التي رفض عقلي إدراكها، وجاء الرجلان، وأمسكاني بإحكام وكأنني مسجون مطلوب، وهنا لم أمتلك نفسي، فدموعي كشفت قواي المنهارة، وظهر ضعفي الذي كنت أحاول أن أخفيه فحاولت أن أرتدي ثوب الرجل المتجلد بالقوة والصبر، ولكن أي قوة وأي صبر!

وأخذ الرجلان يسحباني، وهنا صرخت مهلاً قبل الإعدام يسأل المجرم ما الذي تهفو إليه نفسه؟ وهنا احتضنتني المديرة قائلة: أي إعدام يا بني فأنت هنا ستنعم برفقاء في مثل عمرك واهتمام ورعاية، وعلى العموم أخبرني ما الذي تهفو إليه نفسك؟

سألتها: إن كان أبي أو من كنت أظنه أبي مسح اسمه من شهادة ميلادي، فماذا سيكون اسمي، وأين والدي الحقيقي؟ أم أنني ابن حرام كما يدعي؟

نظرت إليَّ المديرة نظرة مليئة بالعطف والشفقة، وردت قائلة: ستقوم الدار بعمل شهادة ميلاد جديدة باسم عشوائي ليس بحقيقي ننسبك إليه من باب حفظ النسب؛ لأنك لقيط، أي لم يعثر على أهل لك.

لم تعد قدماي تقوى على حملي، فسقطت مغشيًا عليَّ، ولم أفق إلا وأنا بغرفة مليئة بأولاد منهم من هو بعمري، ومن هو يكبرني، ومن هو أصغر مني، جلست على سرير أشبه بدرامات الزبالة في رائحته الكريهة، وكأنه شارع يعدونه للرصف، فقد كان مليئًا بالحفر والفراغات بين ألواحه الخشبية.

بدأت أستعرض شريط حياتي أمامي، فأنا الطفل المدلل الذي تربى بملعقة من ذهب، تعلم بالمدارس الإنجليزية، ونام بأفخر الفنادق، وسافر أجمل البلدان، ينتهي بي المطاف بسجن، أخضع فيه لحصار أشبه بأسرى الحروب.

امتنعت عن الأكل فأي طعام آكله، وهذا ليس بطعامي الذي اعتدته، وساءت حالتي النفسية حتى أنني كنت أرد بأسلوب عنيف على أي شخص يحاول أن يكلمني أو يوجه لي سؤالاً، بل كنت أحيانًا كثيرة أنهال عليهم بالضرب.

إلى أن قرر زملاء الشقاء أن يلقنوني درسًا، ترحيبًا بي وردًا على تعاملي معهم، فانهالوا عليَّ بالضرب المبرح الذي أقعدني طريح الفراش لمدة أسبوع متواصل، وبرغم الضرب المبرح الذي ظهر أثره على كل أنحاء جسدي، فأنا لم أشعر به؛ لأني فقدت الإحساس منذ أن فقدت أمي وإخوتي، واستمرت المديرة تواسيني، وكانت تستدعي أخصائي نفسي للتحدث معي.

لكن أي عزاء يجوز لمن مات، فالميت لا يُعزى، اتصلت مديرة الدار بالرجل الذي تبناني، وأخبرته أنني أوشكت على الضياع، مع أنني كنت قد ضعت بالفعل، حيث رفضت الذهاب لمدرستي برغم كوني من الطلاب المميزين، حتى الطعام امتنعت عنه، فهزل جسدي.

وذات مرة فوجئت بزميل يعطيني قطعة لحم، ويخبرني أنه قد أتى لي بها من المطبخ بعد أن غافل العامل؛ لأنه يعلم أنني لا أقوى على أكل طعامهم، وقال لي: «كل وعيش حياتك مفيش حاجة تستاهل بالدنيا، وحياتك اللحمة دي من أكل المديرة الخصوصي، عشان أفرحك بس».

فحاولت الابتسامة ولكني فشلت، وكيف أبتسم وأنا إنسان فاقد الهوية، فالحيوان أعلى مرتبة عني، على الأقل يدرك عائلته ويحيا مع قطيعه.

وأخذت أسأل أين أمي؟؟؟ هل تنازلت عني لهذا الرجل الذي ليس له قلب ليلقي بي في هاوية الضياع، وجاء موعد زيارة لي، وسعدت كثيرًا، فقد كنت أحلم أن يعود والدي ويخبرني أنه أراد تأديبي بهذه القصة الخيالية التي تشبه أفلام الأبيض والأسود.

خرجت من الغرفة وأنا سعيد لأول مرة منذ دخولي دار البؤساء، أو الأيتام كما يسمونها. فتحت باب غرفة المديرة بشوق ولهفة، فوجدتها

أمي ارتميت بين أحضان رقتها، وأخذتُ أقبل يديها وقدميها، وأقول لها: أنقذيني يا أمي أهان ابنك عليك أن تتركيه هنا؟؟؟ انهارت أمي وبحر من العبرات غشي وجهها، أخذت تتحس وجهي وتمرر يديها بخصلات شعري، أنت ابني الذي لم تنجبه بطني، نعم ابني، فأنا أرضعتك، وغسلت ثيابك بيدي، وعلمتك أن تخطو أول خطواتك، وكم كنت سعيدة عندما خطوت هذه الخطوات!!

كان قلبي يزغرد قبل لساني، وأمسكتك القلم لتخط اسمك واسمي، فأول من قال لي ماما هو أنت يا أسامة، لا زال صداها يتردد بأذان لهفتي، أنت ابني دون شك أنت ابني هل تفهم ابني؟؟؟ ليس لك أم سواي.

ولكن ماذا أفعل أمام هذا الرجل الظالم الذي حرمني منك؟ والذي لا أطيق العيش معه دونك، أين سأذهب بإخوتك؟؟؟ ومن يكفلنا جميعًا؟؟؟ فأنا لست متعلمة وليس لي من أتكئ عليه بهذا الزمن، فاعذرني يا بني ما باليد حيلة.

وانتهت الزيارة وفارقتني أمي، ولكن طيفها لم يفارقني، وحضنها الدافئ لا زال يؤنس وحدة إحساسي، وظللت أبكي أيامًا كثيرة على حالي، إلى أن رويت دموعي الأرض كلها، وجفت عيناي عن الدموع فلربما فرغت عبراتها.

قررت أن أعيش ذئبًا في قانون الغاب الذي يقول: إن لم تكن ذئبًا أكلتك الذئاب، وأنا صدمت صدمة ضيعت مستقبلي وطموحاتي، وهُويّتي وكياني، ولذا لابد من القصاص من الدنيا كلها، من الرجل الذي كان يدعي أنه رءوف القلب، والذي تبناني عندما هفت نفسه لسماع كلمة بابا، وألقى بي لأنه أضحى لديه الكثير من الأبناء، ولم يعد بحاجة لأن يسمعها مني، ومن المجتمع الذي مكن هذا الرجل مني، وأنا طفل لا حول لي ولا قوة، فلو كان قد تركني يتيمًا لما صدمت، ولأقلمت نفسي مع قدري المرير، وواقعي المؤلم.

وهنا بدأت أتقرب من زملاء الدار؛ لأكتسب منهم سبل العيش في دنيا قاسية، ربطنا فيها رباط أكبر من رباط الدم والنسب، رباط الألم والعزلة، وجمعنا معًا الفقر واليتم في هذا المكان، وترك على أجسادنا ووجوهنا تشابهًا أكثر من تشابه الأشقاء تتناثر آثاره على الوجوه والقلوب والعيون، استعمرّنا هذا المكان بعد أن استعمرَنا الضياع والتخبط فاستوطناه واستوطنا بعد أن نبذنا المجتمع وعدَّنا أولاد حرام.

تعلمت كل فنون السرقة، وتعلمت كل الألفاظ التي تعينني على أن يهابني الجميع؛ لأني بلغتهم أصبحت ابن شارع، وليس ابن حرام فقط، انتظرت اللحظة التي أكمل فيها سن الواحد والعشرين حتى يُفك أسري؛ لأنال القصاص بكل جوارحي.

مرت السنون وجاء اليوم الموعود الذي طالما حلمت به، خرجت للشارع الذي جئت منه، وأول شيء فعلته سرقت مبلغًا من المال ليعينني على شراء طعام يومي، ثم اتجهت لأقرب مطعم وتناولت الغداء، بعدها ذهبت مع زميل الشقاء إلى سوق السلاح حتى نشتري سلاح الردع الذي لابد لأبناء الشوارع أن يحملوه، ولا يتركوه، وإلا فقدوا حياتهم، وأضحوا جُثًا لا تساوي التراب الملقاة عليه.

قضينا يومنا سيرًا على الأقدام مبهورين بالدنيا التي لم نر سماءها منذ سنين، وانتهى بنا المطاف فرافقنا الكلاب الضالة بفراشها تحت الكباري إلى أن طلع علينا الصباح، استمررنا بالسرقة، لكل ما تطله أيدينا، فكم شعرت بالتلذذ وأنا أرى من سرقته يصرخ ويئن، وكأنني أنتقم لنفسي من الدنيا بشخصه.

هكذا تفننت في أن أحيا حياتي، ظنًا مني أن هكذا يجب أن تكون الحياة إلى أن جاء يوم أسود، وجدت فيه شخصًا ينزل من السيارة ويمسك بكتفي ويخبرني: أسامة ألا تتذكرني أنا زميلك أحمد بمدرسة «انترناشونال سكول»؟؟؟

ماذا دهاك؟؟ ولماذا ترتدي هذه الثياب؟؟ وأين تسكن الآن؟؟ ولماذا تركت الدراسة؟؟ انهالت أسئلته عليَّ كالحجارة حجرًا تلو الأخر وكأنها تساقطت من جبل بسرعة جذب الجاذبية الأرضية، لم أنطق وماذا أقول؟

أأقول له أنا ابن شارع أحمل بجيبي سكينًا، والشارع هو بيتي وملجئي ومثواي؟؟ قلت له: ظروف ظروف، ولكن كيف حالك أنت؟ وإلى أين وصلت؟؟

فأجاب أنا الآن بكلية الهندسة بالفرقة الثالثة، وكانت الإشارة قد فتحت فأسرع داخل سيارته التي انطلقت بسرعة البرق عن الأعين.

انتابني شعور كاد أن يقتلني بعد أن كنت قد تخيلت بأني أقتص من المجمتع، وسعدت بذلك القصاص، شعرت بالفشل، وأن المجتمع قد أصابني بمقتل، فها هو صديقي الذي كنت أتميز عنه في دراستي يدخل كلية الهندسة حلم عمري الذي طالما حلمت به.

ووجدت قدماي تجرني إلى سوق السلاح مرة أخرى، لأشتري سكينًا كبيرًا بكل ما معي من مال، وذهبتُ إلى إحدى البنايات التي لازالت تحت الإنشاء، وقضيتُ يومي فيها، أنا وصديقي الذي سألني لمَ اشتريت هذا السكين؟ ولمَ هذه البناية بالتحديد؟ فلم أجبه، وما إن أذن الفجر حتى صليت ركعتين فمنذ زمن بعيد وأنا لم أسجد لله، لعلها السجدة الأخيرة بحياتي، لا أدري لماذا انتابني هذا الشعور؟؟

وما إن رأيته خارجًا من البناية حتى أسرعت الخطى ومن خلف ظهره انهلت عليه بسكيني، فأصبته عدة طعنات، وسط صراخ المارة، ولكن لا أحد يستطيع أن يقترب مني، وإلا سينال جزاءه، وكنت أستمتع وأنا أرى أنهارًا من الدماء تسيل على الطرقات، وكلما طعنته طعنة

كنت أخبره بسببها فالطعنة الأولى من أجل ضياع مستقبلي، والثانية من أجل حرماني من أمي وإخوتي، والطعنة الثالثة من أجل امتهان كرامتي.

فوجئت بسيارات الشرطة والإسعاف تلف المكان والكل يخبرني بأن ألقي سلاحي، وصديقي يصرخ: «ليه ضيعت نفسك يا أسامة المستقبل كان قدامك» أي مستقبل يتحدث عنه؟!

وبكل هدوء رميتُ السكين وسلمتُ نفسي للشرطة وقلت لهم: «الآن ارتحت، وأخذتُ أضحكُ ضحكًا هستيريًا، فقط الآن سأحيا فقد تخلصت من كابوس كان يقتلني كل لحظة. وفي أثناء ركوب سيارة الشرطة أفلت أسامة من الشرطي، ليلقي بنفسه تحت إطارات إحدى سيارات النقل الثقيل، ليلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يقول: عُذرًا يا من كنت أبي فأنا أُحِبك.... أُحِبك... أُحِبك... أُحِبك....

●●●

القصة السابعة : قامَرتهُ على نفْسِها فاخْتار سِواها:

بعد أن خلدتُ للنوم في وقت القيلولة في أحد أيام الصيف الحارة، استيقظتُ مفزوعة على صرخات وطرقات عنيفة، ورنات متواصلة للجرس، وكأن أمرًا جللاً قد وقع، هرولتُ من سريري مرتعدة الجوارح؛ لأرى ماذا حدث؟! هل قامت الساعة وأنا في غفوة من أمري؟!

فتحتُ الباب وإذا بها تسقط على الأرض مغشيًا عليها من فرط البكاء، إنها زميلتي بالعمل التي التحقت به منذ بضعة أيام، يا للمصيبة ماذا حدث لها؟

حاولتُ إفاقتها، فكانت تردد الغباء نعمة، لعبتُ بالنار فأحرقتُ قلبي، ثم تعود مرة أخرى في حالة من اللاوعي، عانيتُ معها حتى استطعت تهدئتها، واسترخت على السرير، وبدأت في سرد ما حدث لها قائلة:

تزوجته على عجلة من أمري، بعد أن أصابتني حمى حبه، برغم أنه يكبرني بخمسة عشر عامًا، فهو رجل مُهاب الخطى، قوي الشخصية، طويل القامة، عسلي العينين، ذو قيم ومبادئ، حازم في قراراته، رقيق في همساته، يصرع أجمل النساء بهدوئه، ونظراته الحالمة.

كان يتغنى بحبّي أناء الليل وأطراف النهار، كنت أرى فيه كل الرجال، فأنا زوجته وابنته وحبيبته وصديقته.... استمرت سعادتنا سنة متواصلة ننهل فيها من كئوسها بلا توقف....

إلى أن جاء اليوم الذي أوعز لي شيطاني أن أختبر مدى قوة حبه لي، فقمتُ بعمل «إيميل» جديد باسم امرأة، وبدأتُ أول اختبار، أرسلتُ له طلب صداقة، فوافق وقام بإضافتي، وقتها طمأنت نفسي بعد أن اشتعلت النيران بجنبات قلبي، هذه طبيعة النفس البشرية الفضول، وأخذت ألتمس له الأعذار، فلربما يود معرفة من أكون.

وبعد أن تعرفت عليه وأخبرته أنني مطلقة وأن اسمي سارة، بدأت في المرواغة، وأظهرت كيد النساء، فكنت أدخل له دائمًا في أوقات فراغه التي كنت أحفظها جيدًا، بعد أن أخبره بأني ذاهبة لأمي للاطمئنان عليها، عزفت على أوتار قلبه بخبث ودهاء؛ لأنني أعرف نقاط ضعفه وأتقنها، تخيلته سيوقف فيضان مشاعر سارة، وخبث أنوثتها، ففوجئت به ينجرف أكثر وأكثر... لامرأة عابثة لاهية لم تخاطب فيه سوى مجونه.....

أصابني الخوف هل يمكن لسارة أن تأخذه مني؟! وأنا الذي أتعبد بمحرابه، وأشاطره أنفاسه وأفراحه، وقمر ليله، قررت الامتناع عن لعبة الاختبارات بعد أن رسب بأول اختبار وثاني اختبار، وخشيت نفسي من أن يخذلني بالاختبار الثالث....

جلستُ بالقرب منه أعبث بخصلات شعره، أنثرها وألملمها لعله يستفيق من غيبوبتها، حاولت أن أرده إليَّ ردًا جميلاً، كان يُسرع بالهروب بعيونه خشية أن أرى سارة تسكن أحداقها... بدأ يتغير ويعتاد الخروج بشكل يومي مع أصدقائه؛ لأفاجأ به يرسل لسارة رسائل استرحام بأنه لا يقوى على العيش دونها، وأنها قلبت حياته رأسًا على عقب، أصابني الدوار، طعن أنوثة حبي في مقتل، أأحب سارة؟ أفضلها عليّ؟

وماذا منحته سارة سوى أحرف باردة، تخرج من لوحة مفاتيح عقيمة، تخلو من مشاعر الحب الدافئة، فقط خاطبت غريزة فطرته.

وأنا من أخاطب كل حواسه ألم يشعر بي؟ ألم أحرك سكناته كما كان يخبرني، ألم أعد أعني له شيئًا؟!! أسحبت سارة بساط الحب من تحت قدمي.... فما أرخصني إذًا، أقامرت على نفسي، فخسرني وكسب نفسي؟

لم يكن هناك مفر من الهروب فلو تركته ربما بحث عن امرأة أخرى تنسيه سارة، وإن كنت أنا من صنعت تلك الأكذوبة وأدخلتها بحياته، أصبحت تقتلني الغيرة من وهم أنثى حتى خلتها واقعًا... بدأ يداعب حروف كلماتها، ويتغزل في أنوثة رقتها، وأصبحت أنا ملقاة على رفوف الذكريات، وثب بداخلي الحنين، وطفقت أجمع أسلحتي، لن أترك من ينبض قلبي لأجله، أخذت أجمع حلقات الأيام لأعيدها

إلى ذاكرته، وأنظفها من غبار البعد النفسي الذي حفرته سارة على جدران قلبينا...

لكنه ظل يبحث عن آثار امرأة ليس لها وجود بالواقع، حاولت أن أمسك شعرة تفصل بين العقل والجنون؛ لأنني لست من النوع الذي يخون ثقته باختياره، ويخذل حبه، إلى أن طلبها للزواج، فأصابني الجنون وقطع تلك الشعرة، أيريد أن يجعلها تشاركني قلبه، وما كان قلبه يتسع لكلينا؟

حاولت إعادة ترتيب مشاعره، وأجبرت سارة على أن تخبره أن ضميرها يرفض أن يهدم بناء أسرته أو تدمير مستقبلها، فثارت ثورته وقال عن أي بناء تتحدثين، فمستقبلي هو أنتِ، ولغيرك لن أكون؟ فازداد غرور سارة وطلبت منه أن يطلق زوجته؛ لأنها لا تقبل أن تشاطرها أنثى بصدر إحساسها، فوافق دون أدنى تردد....

حينها فقط عصفت بي رياح اليقين بعد أن باعني بثمن زهيد؛ لأجل امرأة أقل ما يقال عنها أنها عاهرة الفكر، تختبئ خلف شاشة الأنوثة التي لا تملك منها سوى الجسد، فاحترفت حديث المراوغة دون أدنى مشاعر حب.... خشيتُ أن يهدم المعبد لأجل سارة، فقمتُ أنا بهدمه، وأدركت معنى قوله تعالى: «إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» سورة يوسف: الآية ٢٨.

ندمتُ على ذكائي الذي دمر عشقي لرجل المبادئ ذي القرار الصارم الذي لا رجعة فيه، جعلني عارية أمام مرآة الحب التي خسرت نفسي عندما حاولت العبث بذويها، فقامرت على نفسي، فانهدم جدار فولاذي كان كل أحلامي... ورجعت بخفيّ حنين.....

شعرتْ بغصة، وانهار طوفان دموعها، ربتٌّ على كتفها واحتضنتها علّني أواسي جراح بركان هي من فجرته، وأخبرتها بقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» سورة التغابن، الآية: ٢٨.

●●●

obeikandl.com

القصة الثامنة: امْرأةٌ مِنْ أهْلِ الْجنةِ:

جلستُ بجوار امرأة طاعنة في الكبر، لم يترك الزمن أي عضو من أعضائها إلا وقد ترك عليه بصمته، لا أبالغ إذا قلت أنها من نساء الجنة بل هذا أقل ما يقال في حقها، وإذا كانت الجنة تستعصي على مثل هذه فلمن سيفتح رضوان أبوابها؟!

بدأت قصتي معها حين انتقلت إلى منزلي الجديد، بحي راقٍ لا يسكنه سوى الأثرياء من علية القوم، الذين يعانون من أقل جهد قد يبذله إنسان، فتجد داخل أسوار «الفلل» أسرارًا لا يعلمها إلا اللّه، والبيت يكتظ بالخدم من رجال ونساء، والكل يهرول لمساعدة ولي نعمتهم عند دخوله أو خروجه كي يرفعوا عن كاهله عناء العمل الشاق الذي يؤديه يوميًا في سيارته «اللاند كروزر» أو «الجيمس الفارهة» وربما كانت «اللكزس».

فهذا هو الملل بعينه فكل يوم يفكر ماذا سيستقل اليوم من سيارة، ويا لهؤلاء الخدم مهما يفعل لهم فهم لا يقرون بالنعيم، دائمًا ما يخرج ليجد سياراته غير نظيفة، رغم أنه أكثر من مرة قد لفت انتباههم بضرورة غسلها يوميًا حتى تتاح له حرية اختيار إحداهن.

أخذت جولة بالمكان فلفت انتباهي مسجد له مئذنة شاهقة الارتفاع خضراء اللون تنبعث منه رائحة البذخ، ويظهر فيه بديع صنع

يد الإنسان، فلا تملك إلا أن تقول سبحان الله الذي ألهم البشر وعلمهم ما لا يعلمون.

كان انتقالي إلى هذا المكان يزامن دخول الشهر الكريم، ففرحتُ جزلاً لأن بجواري مسجدًا حتى لا أتكبد عناء البحث عن مسجد قريب في هذا الحر اللافح.

وكعادتي بعد الانتهاء من الإفطار توجهت إلى المسجد لأداء صلاة العشاء والتراويح، فدخلت مصلى النساء، كانت قدماي تهرول رغبة في أن يكون لي السبق وشرف الحصول على الصف الأول طبقًا لقول الرسول: صلى الله عليه وسلم: «لو علمتم ما في الصف الأول لأستهمتم عليه».

ويا لفاجعتي عندما دفعت الباب الخشبي المزخرف بأبهى وأفخم أنواع الزخارف، والذي ما إن دفعته حتى دفعني بقوة تفوق قوة دفعي، ربما هزلت قوتي بعد امتلاء بيت الداء بما لذ وطاب، وتراءى إلى ملمس وجهي تيار هواء بارد ينبعث من المكيفات التي جعلت المصلى أشبه بالثلاجة، فكنت كلما بدأت الصلاة يرتجف جسدي، ولم أكن أدري سبب هذه الرجفة هل هي من رهبة لقاء الله أم من الترف والبذخ الذي تجاوز الحدود؟

وجدت امرأة قابعة في بداية المصلى في الصف الأول، ترتدي عباءة رأس ولا يوجد غيرها، ألقيتُ التحية، ابتسمت وقلت في نفسي: هل سبقتني هذه العجوز إلى المسجد، دعيها تفرح بأول يوم رمضان، فجهدها ضعيف وجسدها هزيل، وللشباب سطوة وقوة، والأيام دول فاليوم لها وغدًا لي.

ثم بدأت النسوة تتوافد على المسجد واحدة تلو الأخرى إلى أن اكتمل المصلى بالنساء، وصلنا تقريبًا للصف التاسع، وكان الإمام يطيل في قراءة آيات القرآن في كل ركعة، وعقب الانتهاء من كل ركعتين نجد بعض النسوة يتأففن، والبعض يقطعن الصلاة لإحضار كرسي للجلوس عليه، وأخرى تأخذ مفتاح سيارتها وتنطلق لتسابق الريح، وما كدنا نصل لصلاة الشفع والوتر حتى كان المصلى قد خلا من النساء جميعهن سوى خمس.

طفقت أبتسم وشبه لي هذا المشهد بتهافت الفراش على النار، فالكل يرى إضاءتها المبهرة، فما إن وصل إليها حتى أدرك أنه لا يقوى على لهيبها، فإما أن يجلس ليحترق، أو يفر بنفسه من الهلاك.

انتهت الصلاة وخرجت النساء جميعهن إلا تلك العجوز، وجلست أنا بعد أن شعرت أن إحدى قدماي قد تجمع فيها الدم، ففقدتُ الشعور بها، وأخذت أفكر إن كان هذا تأثير مشقة الصلاة عليّ،

فكيف بتأثيرها على هذه العجوز التي قد وهن جسدها، ونال منها الزمان!!

قمتُ من مكاني لأسألها إن كانت تريد أي مساعدة، وقبل أن أصل إليها إذا بها تقوم من مكانها لتبدأ الصلاة، فضحكت ضحكة خلتها وصلت إلى مرمى سمعها، وقلت لنفسي: أتيتُ لها كي أساعدها، فاتضح لي أنني أنا من أحتاج للمساعدة.

جلست أقرأ بعض آيات من القرآن الكريم حتى تنتهي هذه المرأة ذات الإرادة الإيمانية والهمة العالية التي لم أرَ مثلها بحياتي، انتهت أخيرًا من صلاتها وإذا بها تثب في قوة ونشاط وتستند بكلتا يديها على الجدار، يا لمصيبتي العجوز كفيفة لا ترى، شعرت بالخزي من داخلي كيف جاءت للمسجد؟ وكيف كان لها السبق في الوصول ومن أوصلها؟

اقتربت منها لأساعدها رفضت، وقالت: أنها تعرف طريقها جيدًا، فمنذ سنين وهي تصلي بهذا المسجد، ولا تحتاج للمساعدة، سألتها لأقوم بتوصيلها لبيتها، شكرتني وقالت: «إن ابنها بمصلى الرجال، ينهي صلاته وينتظرها حتى تخرج إليه».

فتحت لها الباب خوفًا من أن يصيبها ما أصابني، مع أنني أيقنت أن ما أصابني لم يكن ليصيبها؛ لأنها تملك من القوة ما لا يملكه أحد من البشر.

منذ ذلك اليوم وأنا ألتقيها وأجلس بجوار امرأة من أهل الجنة، وهي بنفس نشاطها، ولم تغير من عاداتها شيئًا تنتهي من صلاة الجماعة؛ لتبدأ بمناجاة الله في صلاتها.

عندما بدأت العشر الأواخر توقعت عدم قدرتها على المجيء لصلاة التهجد ليلاً نظرًا لكبرها، خصوصًا أن صلاة التراويح تنتهي في تمام العاشرة والنصف، وصلاة التهجد في تمام الثانية، لكنها خذلتني للمرة الثانية، جاءت وسبقتني كالعادة، وقتها فقط أدركت أن البناء الجسدي لا يعين على العبادة وحده، فالبناء الروحي والإرادة هما خير معين.

إن كانت هذه همة امرأة في الثمانينات من أرذل العمر، فما بال همة شبابنا قد باتت فاترة؟ أأمنوا مكر الله ؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الكافرون.

وإن كانت هذه عاداتها العبادية منذ سنين، ولم تكل أو تمل، فما بالنا ونحن حديثي العهد بالعبادة قد أُرهقنا، لذلك أدركت لماذا جعل الله عز وجل الجنة درجات والنار دركات، لأن الله ليس بظلام للعبيد.

تساءلت نفسي وهل لهذه المرأة الكفيفة ذنوب، وحتى وإن أصابت بعضها، ألم تُمحَ ذنوبها طيلة هذه السنوات من العبادة؟

فدار بذهني الحوار الذي حدث بين الرسول صلى الله عليه وسلم والسيدة عائشة- رضي الله عنها- عندما تورمت قدماه من كثرة الصلاة، فقالت له السيدة عائشة: «هون عليك يا رسول الله لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فرد صلوات الله وسلامه عليه: «يا عائشة، أفلا أكون عبدًا شكورًا».

كنتُ أحادثُ نفسي: إن هذه المرأة جعلتني أدرك زمن الصحابة في آخر الزمان، نعم هي امرأة من أهل الجنة تملك من الإرادة الإيمانية ما لا يملكه الرجال، وقتها سألت الله أن يجعلني من رفقائها في الفردوس الأعلى.

●●●

openkandl.com

القصة التاسعة: بينَ الحياةِ والموتِ:

استيقظت من نومها، تطارد أحلامها، تسابق عقارب الساعة، تريد أن تطوي الزمان كي تتحقق كل تطلعاتها، يقتلها الانتظار، تعمل ليل نهار لا تكل ولا تمل، تهرول بنشاط لتتميز في كل ما تقدمه يداها، فهي لا تقبل باللا تميز، لقد اعتادت على أن تكون مختلفة عن الآخرين منذ نعومة أظافرها.

تعود لمنزلها لتتابع ما عليها من واجبات والتزامات أسرية، تفتح حاسوبها المحمول وتبدأ في عمل خطط ومشاريع وأبحاث وتقارير تسعى لتنفيذها في سنواتها القادمة، فجأة تصاب بدوار وعدم القدرة على الوقوف، تطمئن نفسها بأنه ربما إرهاق لأنها لم تنل قسطًا من الراحة منذ وقت طويل، يشتد عليها الألم، ترضخ وأخيرًا تقرر أن تطرق باب الطبيبة، وما إن دخلت إليها حتى طلبت منها إجراء بعض الفحوصات الطبية على سبيل الاطمئنان لا أكثر، وطلبت منها أن تأخذ بعض المحاليل لتستعيد طاقتها ومن ثم سترحل.

ألقت بنفسها على ذلك السرير الممتد في نهاية الردهة، ومدت يدها مستسلمة لوخزات الإبر التي لم ترأف لحالها، وكأنها تعاقبها بقولها لم ترحمي نفسك فلن أرحمك. فجأة تدخل الممرضة على عجل وتطلب منها أن تذهب فورًا لمقابلة الطبيبة فالأمر جد خطير،

وطلبت منها أن تترك المحلول وكل شيء، فلا داعي له، ولن يفيد، ابتسمت ابتسامة صفراء، وأصابتها بعض الوساوس، لكنها سرعان ما أزالت هذا الوسواس، فالممرضة هندية، وربما لم تفهم ما تريده الطبيبة، قررت أن تقطع الشك باليقين، وتستطلع الأمر، دخلت عند الطبية وإذا بها تخبرها بأن لديها نقصًا في إحدى مكونات الدم، وأنها ربما تصاب بنزيف داخلي أو خارجي، ولن يستطيع أي طبيب أن يوقفه؛ لأنها لديها سيولة شديدة بالدم، وطلبت لها سيارة الإسعاف على الفور لتنقلها لمستشفى فيه دكتور متخصص لمتابعة حالتها، نقلت لقسم الطوارئ، وما إن وصلت لغرفتها بالطابق الأول حتى هرول بضعة أطباء يفحصونها للوقوف على طبيعة المرض، أصابها الوهم من أسئلة واستفسارات الأطباء، فهي لديها ثقافة طبية كافية جعلتها تدرك خطورة الموقف، أخذت صديقتها تبكي هل ستصبحين من هؤلاء اللاتي يراجعن المستشفيات، هل تحول المرض عندك لمزمن نتيجة لتأخرك في اكتشافه كما يدعي الأطباء؟!!

لم تحتمل بكاء صديقتها، وفورًا أجابتها: أسأل الله أن يكون ما تقولينه صحيحًا، فأنا على استعداد للتعايش مع مرض مزمن، وسأكون راضية تمام الرضا، فللحياة مذاق لا يعرفه إلا من كان على وشك الرحيل.

أجهشت صديقتها بالبكاء، ماذا تقولين؟؟ وهل الأمر أكبر من ذلك المرض المزمن الذي يتطلب المتابعة والذي سيرهقك أدوية ومستشفيات؟؟ أجابتها وهي تحاول أن تخفي ما ينتابها من رعشة صوت، نعم فربما اقترب موعد رحيلي عن الدنيا، لقد قرأت ذلك في عيون ذلك الجمع من الأطباء، فعندما سألت أحدهم خلسة، هل نقص مكونات الدم عارض لأمراض أخرى خطيرة؟ أجابها، وهو ينظر إلى الأرض قائلاً: نعم، ربما كان ذلك.

وقتها أدركت ماذا يخفي عنها باقي الأطباء الذين يتناوبون عليها طوال اليوم. والآن كيف السبيل لمعرفة ماذا أصابها؟ وإلى متى الانتظار؟ فربما لم يبق لها سوى أيام أو شهور، وكأنه فيلم أبيض وأسود سخيف غير منطقي، أدركت أن أحلامها أصبحت سرابًا، وأصبح حلمها الوحيد ألا يتوقف قلبها عن التوحيد، هي لا تريد الحياة لنفسها، بل لأجلهم، فهي تخشى عليهم من بعدها، أخذت تتساءل هل سيتذكروني؟ هل سيتزوج زوجها من بعدها؟ هل غياب راتبها سيؤثر على دخل الأسرة، وربما اضطر الزوج لتحويل الأبناء من مدارس اللغات إلى مدارس حكومية؟؟

جمعت أولادها، وطلبت منهم أن يشاهدوا التلفاز ويتركوا المذاكرة، ربما أرادت أن تجلس معهم لتودعهم- أما طفلها الرضيع فكانت ترفض أن تحمله كانت تتركه لأخته، وكأنها تريده أن يعتاد

عليها، حتى لا يبكي على فراقها- لم يصدق الأطفال ما تقوله أمهم، ولمَ هذا التحول المفاجئ؟ تطلب منهم مشاهدة التلفاز وترك المذاكرة، أخذوا يتساءلون: هل أنتِ مريضة يا أمي؟ كاد أن ينفجر رأسها من تضارب الأفكار التي ضجت مضجعها، وهزت جدران سعادتها، لكنها لم تقترب من ثقتها بخالقها، لن تنسى ما قاله لها الطبيب عقب أن أخذ منها عينة من النخاع العظمي: لا تفكري كثيرًا، فرحمة الله واسعة، ولن يحرم الله أطفالك الصغار منك.

وكأنه أدرك ذلك الصراع النفسي الذي كاد أن يسقطها قبل أن تحين ساعتها، كان عليها أن تنتظر وتنتظر فكل يوم يتم عمل تحليل لها لينفي الطبيب شكه من مرض خطير، ويليه في اليوم الثاني تحليل آخر لينفي مرضًا آخر أكثر خطورة، واستمرت لمدة ١٠ أيام تنتظر نتيجة هذه التحاليل، إنها أصعب نتيجة انتظرتها، نتيجة لن تستطيع فيها أن تقدم التماس طلب الإعادة، فهي إما حياة أو موت.

لم تجد أمامها من سبيل تركت الأطباء وتحاليلهم وفحوصاتهم، وتوجهت لطبيب الأطباء، أخذت تتوسل له أن يرحم أطفالها، وألا يكتب عليهم اليتم، بدأت تعيد حساباتها، لمَ البغضاء والكراهية والمشاحنة بين الناس، وما أسباب الغيرة والحقد؟!! فالحياة ما هي إلا أنفاس ربما خرجت ولن تعود، ولمَ هذه الخطط والمشاريع والطموح الزائد عن الحد، الذي باعد بيني وبين أحبائي وأصابني بعزلة اجتماعية!

جاء اليوم الذي ظهرت فيه نتيجة الاختبار، لم تقو على الانتظار حتى تذهب لعيادة الطبيب، اتصلت عليه، ولم يجب، واستمرت في الاتصال علّه يهدئ بعض ما يختلجها من خفقان، وأخيرًا أجابها: إن التحاليل كلها سلبية الحمد للّه ليس لديها سوى نقص في إحدى مكونات الدم، وأنه بالعلاج ستتحسن، وأنه مرض غير مُميت، وربما كان عارضًا وسيزول.

سجدت للّه شكرًا، وأيقنت أنه كان اختبارًا من اللّه، وأن ربها يحبها، فقط أراد أن يردها إليه ردًا جميلاً، عادت إلى سابق عهدها قبل أن تأخذها الدنيا إلى قراءة وردها اليومي من القرآن الكريم، ولم تهمل أذكارها فهي الحصن الحصين من شياطين الإنس والجن. وأخذت تردد دومًا شعرًا لن تنساه: لك الحمد مهما استطال البلاء ومهما استبد الألم لك الحمد إن الرزايا عطاء وإن المصيبات بعض الكرم....

●●●

obeikandl.com

رأي بعض ٱلكتّاب والنّقاد في الكتاب

obeikandl.com

obeikandl.com

اسم المقيّم:

الدكتور/ عاشور محمود عبد النبي.

ناقد مصري.

وظيفته: مدرس النقد الأدبي قسم اللغة العربية جامعة عين شمس.

رأيه في الكتاب:

كاتبة رائعة في أول طريقها، تمتلك الأدوات، وتتمكن من اللغة بشكل سليم، شعرت بالاستمتاع حينما قرأت الخواطر، شعرت وكأني أعيش مع كل خاطرة، وأرى كل تفاصيلها، وكأنني أمام أيام الدنيا تتقلب في صفحات كتاب، إن شاء الله سيكون كتابًا مفيدًا ونافعًا في مسيرة الأدب.

obeikandl.com

اسم المقيّم:

الأديب/ عادل سالم.

كاتب وشاعر فلسطيني.

وظيفته: رئيس تحرير جريدة ديوان العرب.

رأيه في الكتاب:

قرأت الكتاب واستمتعت به، القسم الأول منه كان يتسم بالتشويق، واللغة الشاعرية، وهو نص ضروري، وتحتاجه المكتبة العربية لندرة النصوص التي تفصح فيها المرأة عن مشاعرها دون حواجز، ورغبتها بالحرية لا أن تكون امرأة تقليدية تعد جزءًا من أملاك الرجل.

القسم الثاني من الكتاب، خطوة في الطريق الصحيح، ونصوص سردية اعتمدت معظمها على طريقة الراوي، على أمل أن تنوع الدكتورة ياسمين في المستقبل رواة قصصها. الدكتورة ياسمين تخطو بكتابها هذا خطوة الألف ميل، وتضيف لمكتبتنا العربية نصًا جديدًا نعتز بولادته.

obeikandl.com

اسم المقيّم: الدكتور/ منتصر محمد الشماع.

متخصص لغة عربية مصري.

وظيفته: مدير إدارة الخدمات والأنشطة التربوية بالتربية والتعليم وحاصل على دكتواره في التربية تخصص مناهج وطرق تدريس اللغة العربية.

رأيه في الكتاب:

انعكست شخصية الكاتبة بقوة على كتابها من حيث:

- صدق المشاعر وبعدها عن الزخرفة اللفظية الشكلية واهتمامها بالمضمون.
- عرض الأفكار في لمحات سريعة أشبه بومضات الضوء، فهي تأتي بالفكرة تلو الأخرى في سرعة ودقة.
- تجمع الكاتبة بين أصالة الموضوع وحداثة العرض ودقة اختيار الألفاظ.
- استخدمت الكاتبة الرمز في كثير من خواطرها لتعبر عن واقع نعيشه.
- صدق الكاتبة يظهر واضحًا في إحساس القارئ بواقعية فكرتها، ومعايشتها لكل كلمة من كتابتها.

obeikandl.com

- تعكس الألفاظ وجزالتها وقوتها قوة شخصية الكاتبة، ورغبتها في الانطلاق والتسابق مع الزمن.
- استخدمت الكاتبة الخيال والتصوير بشكل احترافي، ومنها صور مبتكرة ظهر فيها إبداعها ككاتبة محترفة.
- تمتلك الكاتبة من الشعور ما يمكنها من جذب القارئ لكتابتها، حيث تبدأ بداية موفقة فيها نوع من التشويق حتى ينتهي القارئ إلى آخر الخاطرة، وقد تكون النهاية محيرة لم تجب عن السؤال الذي طرحته الكاتبة في البداية أو ما قد يدور في ذهن القارئ من تساؤلات.
- توافرت في القصص القصيرة كل عناصرها واكتملت أركانها وكان التركيز في غالبية القصص على شخص واحد.
- ووصفت الكاتبة عناصر القصة بدقة وسرعة تشعرك بأنك ترى الأحداث وتعايش القصة وشخصياتها.

obeikandl.com

اسم المقيّم: الأديب/ جمعة اللامي.

روائي وقاص عراقي.

وظيفته: صحفي وكاتب بجريدة الاتحاد الإماراتية.

رأيه في الكتاب:

اطلعت على النصوص بصورة أولية نظراً لظروفي الصحية، ووجدت فيها ابتكاراً من ناحية الشكل، وهذا يثير اهتمامي كثيراً، أشد على يديك وأتمنى لك المزيد من التألق....

obeikandl.com

اسم المقيّم: سامح محجوب.

شاعر مصري.

وظيفته: إعلامي.

رأيه في الكتاب:

الخطوة الأولى في الكتابة كالخطوة الأولى في الحياة، كلاهما يمنحك لذة الاكتشاف والكشف حيث الروح طازجة، والحس حر، والعقل محلق بين المونولوج والديالوج من لذة الاكتشاف إلى قلق وحيرة الكشف جاء كتاب ياسمين مغيب مفعمًا ببطولة البوح- عن ذاتها المستلبة- في قسمه الأول «اليوميات"، كاشفًا رغبات اللاوعي في القفز خارج حدود المتاح في قسمه الثاني «الخواطر"، لابسًا قناع الفن بمراوغاته وانزياحاته في قسمه الثالث «القصص القصيرة»، أثمن بشدة خطوتك الأولى أيتها الساردة الواعدة ياسمين مغيب.

الفهرس	الصفحة

شكر وإهداء:..... ٥

مقدمة:..... ٩

الجزء الأول:..... ١١

مقْتطفاتٌ مـنْ أيّـامِ امرأة:..... ١١

الجزء الثاني:..... ٤١

خواطر:..... ٤١

الجزء الثالث:..... ١٠٥

القصص القصيرة:..... ١٠٥

رأي بعض ٱلكتّاب والنّقاد في الكتاب:..... ١٦٧

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر

obeikandl.com